تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم

١. ﴿الٓر﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح : «أنا الله أرى»[١] ، وقال في رواية أبي صالح وعطاء : «أنا الله الرَّحمن»[٢] ، وعلى هذا التفسير

---

(١) ورد في تفسير الطبري ١١/ ٧٩ ، ١٣/ ٩١ في رواية أبي الضحى عن ابن عباس بنصه ، والسمرقندي ٢/ ٨٧ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ١١٩ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤ ، وورد بلا نسبة في تفسير أبي حيان ٥/ ١٢١ . خلاصة القول في الحروف المقطعة في أوائل السور : تباينت أقوال العلماء في هذه الحروف ، ولهم فيها اتِّجاهان : الاتجاه الأول : أنها سر الله في القرآن ؛ ولذا فهي مما استأثر الله بعلمه ، فهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، ومن ثم لا ينبغي التكلم فيها ، وقد نُسب هذا القول إلى الخلفاء الراشدين وبعض الصحابة ـرضي الله عنهمـ بروايات ضعيفة ، كما قال ابن عاشور في تفسيره ١/ ٢٠٧ ، وممن أيّد هذا القول أبو حاتم ، وقال : «لم نجد الحروف في القرآن إلا في أوائل السور ، ولا ندري ما أراد الله عز وجل» ، وإلى هذا مال الشوكاني . انظر : تفسير الشوكاني ١/ ٥٠ ، ٥١ . الاتجاه الثاني : أنها معلومة ولها معانٍ ، ولم ينزلها الله عبثاً ، ومن أنصار هذا الرأي الذين أطالوا النقاش حولها الفخر الرازي رحمه الله ، فقد ذكر واحداً وعشرين قولاً ، وناقش معظمها وأيّد وعارض ، ثم ترجح له أنها أسماءٌ للسور ، وأورد ستة إشكالات على هذا القول ، ثم ناقشها وردها جميعاً . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢/ ٢ـ١٢ ، وكذلك الطاهر بن عاشور أطال الحديث عنها في تفسيره التنوير والتحرير ١/ ٢٠٦ـ٢١٨ ، وقد سلك سبيل السبر والاستقصاء ، فحذف المتداخلات ، ووحد المتشابهات ، ثم خلص إلى واحد وعشرين قولاً ، =

قوله : ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ مرفوع على خبر الابتداء ، المعنى : هذا كتاب أنزلناه[١] .

وقال صاحب النّظم[٢] : «﴿ الٓر ﴾ اسم موضوع لجماعة الحروف المعجمة[٣] ، فعلى هذا ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ موضوع في موضع رفع على[٤] خبر الابتداء ،كأنه قيل هذه الحروف كتاب أنزلناه ، يعني أن الكتاب الذي أنزل مؤلَّف من هذه الحُروف»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ﴾ من صفة الكتاب ، ومِثلُ هذا من الكلام : زيد رجل أنفذته إليك ، وقوله تعالى : ﴿ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ ﴾ سبب لقوله : ﴿ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ﴾ ، فاللام في ﴿ لِتُخْرِجَ ﴾ معلق بالإنزال ؛ أي أنزلنا لهذا .

= قسمها إلى ثلاث مجموعات ، ثم ناقشها وأورد عليها الإشكالات ليخلص إلى ثلاثة أقوال ؛ هي : أنها حروف جاءت لتبكيت المعاندين وتسجيل عجزهم عن المعارضة . وأنها أسماءٌ للسور الواردة فيها ؛ ألم السجدة ، حم السجدة . وأنها أقسام أقسم الله بها لتشريف قدر كتابه ، وتنبيه العرب الأميين إلى فوائد الكتابة لإخرجهم من حالة الأمِّية . ثم قال : «وأرجحها أولها» ، وهذا القول هو الذي اختاره جماعة من المحققين ؛ كالفرَّاء والمبرِّد وابن تيمية والمزي ، وابن كثير الذي ذكر مسوغات ترجيح هذا القول ؛ وهو أن ذكر القرآن وتنزله عن رب العالمين يرد كثيراً بعد هذه الحروف المقطعة ؛ كقوله : ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾[البقرة :١ ، ٢] ، ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [إبراهيم :١] ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾[الزخرف :١ ، والدخان :١] ، انظر : تفسير ابن كثير ١/ ٤٠ .

(١) وقد ذهب إلى هذا جماعة من العلماء ، كالزَّجَّاج ، ومكي بن أبي طالب ، وابن عطية ، والعكبري وغيرهم . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٣ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٥ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ١٩٣ ، وإملاء ما منَّ به الرحمن ١/ ٦٥ .

(٢) أبو علي الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني .

(٣) ذكره ابن عطية في تفسيره ٨/ ١٩٣ بلا نسبة .

(٤) في (ع) : (لأنه) .

(٥) انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ١٩٣ .

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من الشرك إلى الإيمان»[١] . قال أبو إسحاق : «شبَّه الكفرَ بالظلمات لأنه غير بيِّن ، والإيمان بيِّن نيِّر ، فمُثِّل بالنور»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ الباء متصلة بـ(تخرج) ، المعنى : لتخرج الناس بإذن ربهم ؛ أي بما أذن الله لك في تعليمهم ، ويجوز أن يكون ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ : لا[٣] يهتدي مهتد إلا بإذن الله ومشيئته[٤] ، هذا كله كلام أبي إسحاق[٥] ، والقول الثاني قول ابن عباس ؛ لأنَّه قال : «يُريد بقضاء ربهم»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ قال ابن الأنباري : «إنما لم يدخل حرف العطف في ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ﴾[٧] ؛ لأنه أريد بهذا الصراط : النور المذكور قبله[٨] ، (فإلى) الثانية[٩] ، دخلت على ما دخلت عليه الأولى[١٠] في المعنى ، وصار كقولك : قصدت إلى زيد العاقل الفاضل ، فيستغني عن حرف العطف من أجل أن المذكور بعد (إلى) الثانية ثناء على السابق ووصف له ، وإنما تعاد (إلى) لمعنى[١١] التفخيم

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٣ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٤٣ ، وذكره الكرماني في غرائب التفسير ١/ ٥٧٣ بلا نسبة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٣ بنصه تقريباً .

(٣) في (ش) و(ع) : (لأنه لا يهتدي) ، والمثبت أصح لموافقته المصدر المنقول عنه .

(٤) في (أ) و(د) : (ومسببه) .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٣ بنصه .

(٦) ورد بلا نسبة في تفسيره الوجيز ١/ ٥٧٧ ، وابن عطية ٨/ ١٩٤ .

(٧) أي لم يقل : و﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ﴾ .

(٨) على أنه بدل منه ، وقد ذهب الى هذا الزمخشري في أحد قوليه في تفسيره ٢/ ٢٩٢ ، وابن عطية ٨/ ١٩٤ ، والعكبري في الإملاء ٢/ ٦٥ .

(٩) في قوله : ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ﴾ .

(١٠) في قوله : ﴿ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ .

(١١) في (ش) و(ع) : (بمعنى) .

والتعظيم؛ فالنور هو الإسلام، وصراط العزيز الحميد ثناء على النور»، وهذا معنى قول أبي إسحاق، ثم بيَّن ما النور فقال: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[1].

٢. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهِ﴾ مَنْ رَفع[2] قطع مِن الأول، وجعل ﴿ٱلَّذِى﴾ الخبر أو جعل ﴿ٱلَّذِى﴾ صفة وأضمر خبراً[3]، ومثله في القطع قوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣] في من رفع[4] ومثله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١] ثم انقطع قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] عنهم واستؤنف به. ومن خفض[5] جعله بدلاً من ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ ولم يكن صفة؛ لأن اسم الله صار كالعلم[6] الذي لا يوصف به نحو: زيد وعمرو بكثرة الاستعمال[7]، وإن كان يجوز أن يوصف به من حيث المعنى؛ لأن معناه ذو العبادة[8]،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٣، بنصه.

(٢) هما نافع وابن عامر انظر: السبعة في القراءآت لابن مجاهد ٣٦٢، والحجة للقراء لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٥، والتبصرة في القراءآت السبع لمكي ٥٥٨.

(٣) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٥٤، والإملاء ٢/ ٦٥، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٤٦.

(٤) وهما نافع وابن عامر، انظر: السبعة ٥٢٦، والحجة للقراء ٦/ ٥، والمبسوط في القراءات ٣٠٣، قال أبو علي: «وأما الرفع فيجوز أن يكون (عالِمُ) خبرَ مبتدأ محذوف تقديره: هو عالم الغيب، ويجوز أن يكون مرفوع بالابتداء وخبره ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾».

(٥) هم ابن كثير وأبوعمرو وعاصم وحمزة والكسائي. انظر: السبعة ٣٦٢، والحجة للقراء ٥/ ٢٥، والتبصرة ٥٥٨.

(٦) في (أ) و(د): (العلم)، والمثبت من (ش) و(ع) وهو أنسب للسياق.

(٧) راجع هذه المسألة في المقتضب للمبِّرد ١/ ٢٦، والمقرب لابن عصفور ١/ ٢٢٢، وهمع الهوامع للسيوطي ٥/ ١٧٨، وخزانة الأدب ٢/ ٢٦٨، ٦/ ٣٢٨.

(٨) على قول من قال أن لفظ الجلالة مشتق من أله، ومعناه عبد، وتأله: تعبَّد وتنسَّك، كما قال رؤبة بن الحجاج ت١٤٥هـ:

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسترجَعْنَ من تألُّهِي

ديوان رؤبة ١٦٥، وانظر: تفسير ابن عطية ١/ ٨٩، والدر المصون ١/ ٢٥.

كما بينا في أول الكتاب ؛ على معنى أن العبادة تجب له ، وقد يَغْلُب ما أصله الصفة فيصير بمنزلة العلم ، كقول الشاعر[١] :

وَنابِغَةُ الجَعْدِيُّ بِالرَّمْلِ بَيْتُهُ عَلَيْهِ صَفيحٌ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلِ[٢]

فالأصل النابغة ، ولما غلب نُزع عنه الألف واللام كما يُنزع من الأعلام ، نحو : زيد وجعفر[٣] .

٣. قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ ﴾ إن شئتَ جعلت ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ من صفة الكافرين في الآية المتقدمة ، وإن شئت استأنفت به وجعلت الخبر قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ ، ومعنى الاستحباب : طلب محبّة الشيء بالتعرُّض إلفاً[٤] ، ودخلت (على)[٥] في قوله : ﴿ عَلَى ٱلْآخِرَةِ ﴾ لأن معنى يستحبُّون هاهنا : يؤُثرون ويختارون ، فكأنَّه قيل : يُؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة[٦] ، قال ابن عبّاس :

---

(١) هو مسكين الدارمي ، واسمه ربيعة بن عامر ت ٨٩هـ .

(٢) انظر : ديوانه ٤٩ برواية :

عليه صفيحٌ من رخام مرصّع

وورد البيت غير منسوب في الكتاب ٣/ ٢٤٤ ، واللسان (نبغ) ٨/ ٤٥٣ ، برواية :

عليه صَفِيحٌ من تُرابٍ مُوَضَّع

وورد في المقتضب ٣/ ٣٧٣ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٣٦٠ برواية :

عليهِ صفيحٌ منْ ترابٍ منضَّدِ

وورد صدره في الخزانة ٢/ ٢٦٨ ، ٦/ ٣٢٨ .

(٣) الحجة للقراء ٥/ ٢٥ـ٢٧ بتصرف واختصار .

(٤) في (ش) و(ع) : (لها) .

(٥) أي عدَّى الفعل بعلى لأنَّه تضمَّن معنى الإيثار .

(٦) أي إن الفعل لمَّا عدي (بعلى) ضُمِّنَ معنى الإيثار . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ١٨٠ ، والمفردات ٢١٥ ، والنهر الماد : (٢/ ١)/ ١٨٩ ، والدر المصون ٧/ ٦٩ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٤١٩ .

«يريد ما يُعجَّل لهم من[١] الدنيا وإن كان حراماً أخذوه تهاوناً بأمر الآخرة[٢]، واستبعدوها»[٣]؛ مثل قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [الإنسان: ٢٧].

﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ويمنعون الناس عن دين الله وطاعته، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ذكرنا معناه بالاستقصاء في سورة آل عمران[٤].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ قال عطاء: «يريد في خسران كبير»[٥]، وقال الكلبي: «يعني في خطأ بعيد عن الحق»[٦]، ويقال: طويل.

٤. قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ اللسان يستعمل على معان؛ أحدها: الجارحة[٧]، قال الفرَّاء: «لم نسمعه من العرب إلا مُذكَّراً»[٨]، وقال أبو عمرو: «اللسان بعينه يذكَّر و يؤنث، فمن ذكَّره جمعه ألسنة، ومن أنَّثه جمعه ألْسُناً»[٩]، واللسان يستعمل بمعنى الثناء، يقال: إن لسان الناس عليه لحسنةٌ وخيرٌ؛ أي ثناؤهم[١٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [الشعراء: ٨٤]،

---

(١) في (أ) و(د): (من الله) بزيادة لفظ الجلالة، وقد أدى إلى اضطراب المعنى.

(٢) في (أ) و(د) و(ش): (بأمر الله) والمثبت من (ع)، وهو المناسب للسياق بعده، وموافق للوسيط.

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ١/ ٣٠٤ بنصه تقريباً، وانظر: زاد المسير ٤/ ٣٤٥.

(٤) خلاصته: أي تلتمسون لسبيله الزيغ والتحريف بالشُّبَه التي تُلَبِّسون بها، وتُوهِمون أنها تقدح فيها، وأنها مُعْوَجَّة بتناقضها.

(٥) لم اهتد إلى مصدره.

(٦) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٤ بنصه.

(٧) في (د): (الخارجة).

(٨) نقله ابن الأنباري في كتابه المذكر والمؤنث ١/ ٣٦٤ بنصه، وفي (ش) و(ع): (مذكر).

(٩) ورد في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣٦٤ بنصه، وورد في تهذيب اللغة (لسن) ٤/ ٣٢٦٢، بلا نسبة.

(١٠) ورد بنصه تقريباً في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣٦٤، والمخصص لابن سيده ١٧/ ١٢.

وقال ابن الأنباري : «العرب تُوقع اللسان على الخطبة ، والرسالة والكلمة والكلام ، يقولون : له لسانٌ حسنةٌ ، يعنون : خطبة وعبارة وكلمة ، ويقولون : سبق من زيد لسانٌ عمَّه ، يعنون : الكلام»[١] ، واللسان : اللغة أيضاً ، وهو قول المفسرين[٢] ، وأهلِ اللغة[٣] في هذه الآية ، قالوا في قوله : ﴿ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ بلغة قومه ليفهموا عنه ويعقلوا ، يدل على هذا قوله : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ، ويقال : فلان يتكلم بلسان العرب ؛ أي بلغتهم[٤] ، قال أبو بكر : «ولهذا المعنى وحد اللسان ، وإن أضيف إلى القوم ؛ لأنه أريد باللسان اللغة ، واللغة تقع على قليل المنطق وكثيره ؛ نحو : الحِنطة والذرة والقمح والعسل والشعير وما أشبهها من أسماء[٥] الأجناس التي تقع على القليل والكثير بلفظ واحد»[٦] ، قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد بلسان سعد[٧] بن بكر بن هوازن ؛ وهي من أفصح العرب ؛ وهي لغة يفهمها جميع العرب» .

---

(١) لم أقف على مصدره .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٩١أ ، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٨١ ، عن قتادة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٠ ، والثعلبي ٧/ ١٤٥ب ، والطوسي ٦/ ٢٧٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٥ ، وابن عطية ٨/ ١٩٩ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (لسن) ٤/ ٣٢٦٢ ، ومجمل اللغة ٣/ ٨٠٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٤ ، واللسان (لسن) ٧/ ٤٠٣٠

(٤) انظر : الكليات لأبي البقاء ٧٩٨ .

(٥) في (أ) و(د) : (الأسماء) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الأصح لانسجامه مع السياق .

(٦) لم أقف على مصدره . وورد مختصراً بلا نسبة في تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٠ .

(٧) بنو سعد بن بكر هم بطن من هوازن بن منصور ، من العدنانية ، وهم أظآره ﷺ عندهم استرضع من حليمة السعدية . انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٦٥ ، ونهاية الأرب ٢٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ قال ابن عباس : «جعل المشيئة إليه وحده لا شريك له»[١] ، قال أبو بكر : «رَفَعَ ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ بعد التّبيين بإيثاره الباطل[٢] ، ﴿ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ : باتّباع الحق» .

قال الفرّاء : «وإذا رأيت الفعل منصوباً وبعده فعل قد نُسِق[٣] عليه فإن كان[٤] يُشاكل[٥] معنى الفعل الذي قبله نَسَقْته[٦] عليه ، وإن رأيته غير مشاكل لمعناه استأنفته فرفعته ؛ نحو قوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ ﴾ [التوبة :٣٢] ، فيأبى في موضع رفع لا يجوز إلا ذلك[٧] ؛ لأنه لا يحسن أن تُبادل[٨] بـ﴿ يُرِيدُونَ أَن ﴾ : ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ ﴾ فإذا لم يمكن وضع الثاني موضع الأول بطل العطف ، ومثله قوله : ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ [٩] فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [الحج :٥]

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٤ ، بنصه .

(٢) يعني أن ﴿ فَيُضِلُّ ﴾ مرفوع على الاستئناف ومقطوع من الأول ؛ لأنه لو عطف على قوله : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ لأوهم أن إرسال الرسل لإرادة الإضلال ، وهو خلاف المراد من الآية . وجوّز الزَّجَّاج النصب على وجه بعيد على أن اللام لام العاقبة ؛ لأنه لما آل أمرهم الى الضلال مع بيان الرسول لهم صار كأنه إنما أُرسل لذلك . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٤ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٥ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٥٤ ، والإملاء ٢/ ٦٦ .

(٣) في (د) : (سبق) ، والنَّسق في اصطلاح النحويين هو العطف . انظر : المعجم المفصل في النحو العربي ٢/ ١١٣ .

(٤) (كان) ساقطة من (د) .

(٥) المقصود بالمشاكلة : المماثلة . انظر : اللسان (شكل) ٤/ ٢٣١٠ .

(٦) في (د) : (سبقته) .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٨ بنصه تقريباً .

(٨) في (د) : (يناول) .

(٩) يقول الزَّجَّاج رحمه الله : لا يجوز فيها إلا الرفع ، ولا يجوز أن يكون معناه فعلنا ذلك لنُقرَّ في الأرحام ، لأن الله ـعز وجلـ لم يخلق الأنام لما يُقرُّ في الأرحام ، وإنما خلقهم ليدلَّهم على رشدهم وصلاحهم . معاني القرأن وإعرابه ٣/ ٤١٢ .

ومـــن ذلك قولهم : أردت أن أزورك فيمنعُني المطرُ ، بالرفع غير منســـوق على ما قبله لما ذكرنا ، ومثله قول الشاعر[١] :

يُريدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمُه»[٢]

٥. قوله تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ ؛ أي بالبراهين التي دلَّت على صحة نبوته مثل اليد والعصا وغيرهما من آيات موسى[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَخْـرِجْ قَوْمَكَ ﴾ ؛ أي بـــأن أخرج قومك[٤] ، قال أبو إسحاق : «(أنْ) هاهنا يصلح أن تكون المخففة[٥] التي للخبر ، ويصلح أن تكون مفـــسِّرة[٦] بمعنى : أي ، ويكون المعنـــى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ ؛ أي[٧] أخـــرج قومك ، كأن المعنى : قلنـــا له : أَخْرِج قومـــك ، ومثل هذا قوله : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ ﴾ [ص :٦] : (أي امشـــوا)[٨] والتأويـــل : قالـــوا لهـــم

(١) نسب إلى رؤبة في الكتاب ٣/ ٥٢ ، واللسان (عجم) ٥/ ٢٨٢٦ ، ونسب إلى الحطيئة في شواهد المغني ١/ ٤٧٦ ، والدرر اللوامع ٦/ ٨٦ ، وورد غير منسوب في همع الهوامع ٥/ ٢٣٥ ، والمقتضب ٢/ ٣٣ .

(٢) بيت من رَجَز ضمن خمســـة أبيات . انظر : المصادر الســـابقة ، وقد جاء به الواحدي شاهداً للمسألة النحويـــة التي قرَّرها من قبل ، وهو قطع الفعل الثاني عن الأول بالاســـتئناف ، وعدم جواز عطفه لما يترتب عليه من التباس المعنى وفساده . والشاهد في البيت : رفع (فيعجمُه) على القطع ، والمعنى : فإذا هو يعجمه ، ولا يجوز النصب على العطف لفساد المعنى ؛ لأنه لا يريد إعجامه ؛ والإعجام : أن يجعله مشكلاً وملتبساً . انظر : الدرر اللوامع ٦/ ٨٧ .

(٣) وهي تســـع آيات ، كما قال تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ [الإسراء :١٠١] وهي : الطوفان ، والجراد ، والقُمَّل ، والضفادع ، والدَّم ، والعصا ، واليد ، والسنين ، والنقص في الثمرات .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٥ بنصه . انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢٠٠ .

(٥) أي المخففـــة من (أنَّ) الثقيلة ، وهي التي تقع بعد فعل اليقـــين أو ما نزل منزلته . انظر : مغني اللبيب ٤٦ .

(٦) هي التي تُسبق بكلام في معنى القول دون حروفه ، ولها شروط . انظر : مغني اللبيب ٤٨ ، ٤٩ .

(٧) في (ش) و(ع) : (أن) ، والمثبت هو الصحيح لموافقته المصدر .

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق لما في المصدر .

امشـــوا[١] ، وإن جعلتها المخففة التي هي للخبر كان المعنى : أرســـلناه بأن يخرج قومـــه ، إلا أن الجار حذف ووُصِلتْ (أن) بلفظ الأمر للمخاطب ، والمعنى معنى الخبر ؛ نحو قولك : كتبـــت أن قُمْ ، وأمرته أن يقوم ، إلا أنها وصلت بلفظ الأمر الذي كان للمخاطب» ، وحكى القولين عن سيبويه[٢] .

وقوله تعـــالى : ﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ قال ابن عبـــاس : «يريد من الـــشرك إلى الإيـــمان»[٣] ، ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ ﴾ ، الأيام : جمـــع يوم ، واليوم مقـــداره من طلوع[٤] الشـــمس إلى غروبهـــا ، وكانت الأيام في الأصـــل : أيْوام واجتمعت الياء والواو ، سُبقت إحداهما بالسكون فأدغمت إحداهما في الأخرى وغُلبـــت الواو[٥] ، ويُعبَّر بالأيام عن الوقائـــع والنِّعم والنقم ؛ لأن هذه كلها تقع فيها ، ذَكره شَـــمر ، وقال ابن السِّكِّيت : «العرب تقول : الأيام في معنى الوقائع ، يقال : هو عالم بأيام العرب ، يريد : وقائعها»[٦] .

---

(١) ساقطة من (ع) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٥ بتصرف يسير ، وانظر : الكتاب لسيبويه ٣/ ١٦٢ .

(٣) لم أقـــف عليه منســـوباً إلى ابن عباس ، وأورده الواحـــدي في وجيزه ١/ ٥٧٨ بلا نســـبة ، وورد عن ابن عباس تفســـير الآية بقوله : «من الضلال إلى الهدى» . انظر : تفســـير الطبري ١٣/ ١٧٩ من دون نسبة لابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ١٣٠ . وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) (طلوع) مكررة في (أ) ، وفي (د) : (من طلوع إلى طلوع الشمس) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (يوم) ٤/ ٣٩٩٠ ، واللسان ٨/ ٤٩٧٤ ، ونقله الفخر الرازي في تفسيره ١٩/ ٨٤ وعزاه للواحدي .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (يوم) ٤/ ٣٩٩١ بنصه .

قال ابن عباس في هذه الآية : «يريد بنِعم الله»[١] ، وهو قول مجاهد[٢] ، وأبي بن كعب ؛ رواه عن النبّي ﷺ في قوله : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ قال : «أيامه : نِعَمُه»[٣] .

ونحو هذا قال الحسن[٤] ، وسعيد بن جبير[٥] ، وقال مقاتل بن سليمان : «بوقائع الله في الأمم السالفة»[٦] ، قال أبو إسحاق : «أي ذكِّرهم بنِعم أيام الله عليهم ، وبنقم أيام الله التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمود»[٧] ، وقال

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٥أ ، بلفظه ، وتفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٥ ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٥ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤١ ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٢ ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) تفسير مجاهد ١/ ٣٣٣ ، بلفظه ، أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤١ ، بلفظه ، والطبري :١٣/ ١٨٣ ، ١٨٤ ، بلفظه من طرق ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ١٢٢ ، والطوسي ٦/ ٢٧٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٤٦ .

(٣) أخرجه أحمد ٥/ ١٢٢ بنحوه مرفوعاً وموقوفاً ، والنسائي في التفسير ١/ ٦١٤ بنحوه ، والطبري ١٣/ ١٨٢ـ١٨٤ ، بنحوه ، وأورده المزي في تحفة الأشراف ١/ ٢٧ ، وابن كثير في تفسيره ٢/ ٥٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، والسيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٢ ، وزاد نسبته الى ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان (لم أقف عليه) ، وهذا الحديث له إسنادان ؛ إسناد أحمد والطبري ، وإسناد النسائي ، أما الإسناد الأول : فضعيف ؛ لأنه يدور على محمد بن أبان الجعفي ، وهو مضَّعف بعلتين : سوء الحفظ ، وبدعة الإرجاء مع الدعوة إليها . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٣٤ ، والضعفاء الصغير للبخاري ٩٨ ، والضعفاء للنسائي ٩١ ، والجرح والتعديل :٧/ ٢٠٠ ، والكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٢١٣٩ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٣٧٣ ، أما الإسناد الثاني : فانفرد به النسائي ، ورجاله ثقات ، فهو صحيح .

(٤) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٢٧٤ بنحوه .

(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ١٨٤ بنحوه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٢٧٤ .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ١٩١أ ، بمعناه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٥ب بنصه .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٥ بنصه .

الفرَّاء : «يقول : خوِّفهم بما نزل بعاد وثمود وغيرهم من العذاب ، وبالعفو[١] عن آخرين ، وهو في المعنى : خذهم بالشدة واللين»[٢] .

وقال أهل المعاني : يقول : عظهم بالترغيب (والترهيب ، والوعد والوعيد ؛ والترغيب)[٣] ، والوعد : (أن يذكِّرهم)[٤] بما أنعم الله عليهم ، وعلى مَن قبلهم ممن آمنوا بالرسل وصدَّقوه في ما مضى من الأيام ، (والترهيب والوعيد ؛ أي ذكِّرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذَّب الرسل في ما مضى من الأيام)[٥] ؛ ليرغبوا في الوعد فيصدِّقوا ، ويحْذروا فيتركوا التكذيب[٦] ، ومن الأيام التي أريد بها الدُّول من النعيم[٧] قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٨] [آل عمران : ١٤٠] ، والعرب تقول : من ير يوماً (يُرَ به[٩] ، معناه : من يرى لنفسه يوم سرور بمصرع

(١) في (أ) و(د) : (بالعقوبة) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق للمصدر .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٨ بنصه .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (د) .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (ش) و(ع) .

(٦) لم أقف على من قال به من اهل المعاني ، وقد ذكره بعض المفسرين ، انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٨٤ ، والخازن ٣/ ٧٠ .

(٧) في (ش) و(ع) : (النعم) .

(٨) يقول القفال رحمه الله : «المداولة : نقل الشيء من واحد الى آخر ، ويقال تداولته الأيدي إذا تناقلته» . انظر : تفسير الفخر الرازي ٩/ ١٥ . فهذه الآية دليل على أن أيام الله تعالى ليست مقصورة على النعم ، بل تشمل النقم كذلك ، فقد أُديل المسلمون من المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، وأُديل المشركون من المسلمين يوم أحد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين ، فسمَّى إنكسار المسلمين في أُحد أياماً ، كما كانت هزيمة قريش في بدر أياماً .

(٩) انظر : كتاب الأمثال لأبي عبيد بن سَلَّام ٣٣٤ ، وجمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٢٧٢ ، ومجمع الأمثال للميداني ٣/ ٣١٨ .

غيره ، رأى غيرُه مثلَ ذلك اليوم بمصرعه ، وكل هذا)[١] يدل على أنه يُعبَّر باليوم والأيام عن حادثات الخير والشر[٢] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ قال ابن عباس : «يريد لكل صَبَّارٍ على طاعة الله وعن معاصيه ، شكور لأنعم الله»[٣] ، وقال أهل المعاني : أراد لآياتٍ لكل مؤمن ؛ لأن الصبر والشكر من أفعال المؤمنين ، والحال لا يخلو من نعمة وشدة ، والمؤمن شاكر في أحديهما[٤] صابر في الأخرى[٥] .

٦. قوله تعالى : ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وقال في سورة البقرة [٤٩] : ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بغير واو ؛ لأنه تفسير لقوله : ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فذكر العذاب مجملاً ثم فَسَّره بما بعده ، ولا تحتاج في تفسيره إلى الواو كما تقول : أتاني القوم ؛ زيدٌ وجعفرٌ وعمرٌو ، لا تدخل الواو في زيد ، لأنك أردت أن تُفسِّر به القوم ، ومثل هذا قوله : ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾ [الفرقان :٦٨-٦٩] والآثام[٦] فيه نيَّة العذاب كثيره وقليله ، ثم فسَّره بغير الواو فقال : ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٢) وقد رجَّحه ابن عطية -رحمه الله- فقال : «ولفظة الأيام تعم المعنيين ؛ لأن التذكير يقع بالوجهين جميعاً» ٨/ ٢٠٣ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٦٨ بنحوه ، وورد بلا نسبة في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ١/ ٣٠٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٤٦ .

(٤) في (د) : (إحداهما) .

(٥) لم أقف على مصدره ، وفي هذا المعنى ورد حديث صحيح ؛ يقول الرسول ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» رواه مسلم في الزهد ، والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ٤/ ٢٢٩٥ ، فقوله : لأن الصبر والشكر من أفعال المؤمنين ؛ أي من خصائصهم ، ويؤيده في الحديث قوله : وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن .

(٦) في (أ) و(د) : (الأيام) ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الأظهر .

هذه السورة أدخل الواو لأن المعنى: أنهم يعذبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح أيضاً، فقوله: ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ جنس آخر من العذاب لا تفسير لما قبله، وما في هذه الآية مفسَّر[١] في سورة البقرة[٢]، وما ذكرنا في معنى طرح الواو وإثباته كله معنى قول الفرَّاء[٣].

٧. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ عطف على قوله: ﴿ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم ﴾، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ وهذا[٤] إخبار عما قال موسى لقومه، ومعنى ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ قال المفسرون: أعْلَم[٥]، قال الفرَّاء: «تأذن وأذن بمعنى واحد[٦]، وربما قالت[٧]: تفعَّل وأفعل في معنى واحد، وهذا من ذلك»[٨]، ومثله: توعَّد وأوعد، وهو كثير، وذكرنا الكلام في تأذن في سورة الأعراف[٩].

---

(١) ساقطة من (أ) و(د).

(٢) انظر: البسيط، تفسير سورة البقرة ٤٩.

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٨، وورد هذا المعنى في تفسير الطبري ١٣/ ١٨٥، والثعلبي ٧/ ١٤٦أ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٦، والبيان في الإعراب ٢/ ٥٥، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٨٥، والفريد في الإعراب ٣/ ١٤٩.

(٤) أي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم ﴾.

(٥) ورد في تفسير الطبري ١٣/ ١٨٥، ١٨٦، والسمرقندي ٢/ ٢٠١، والماوردي ٣/ ١٢٣، وانظر: تفسير البغوي ٤/ ٣٣٦، وابن عطية ٨/ ٢٠٤.

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٩ بمعناه، ومع أن معناهما واحد، لكن كما يقولون: زيادة المبنى يقتضي زيادة المعنى، وقد أشار إلى هذا الفرق هنا الزمخشري ـ رحمه الله ـ في تفسيره ٢/ ٣٩٤، فقال: «ولا بد في تفعَّل من زيادة معنى ليس في أفعل، كأنه قيل وإذ أذن ربكم إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشُّبَه».

(٧) أي العرب.

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٩، بتصرف، وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ١٨٥، ١٨٦، والثعلبي ٧/ ١٤٦أ، والزمخشري في الكشاف ٢/ ٣٩٤، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥٠.

(٩) عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [١٦٧].

وقوله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لئن وحدتموني وأطعتموني لأزيدنكم نعمة»[١] ، ومعنى شكر النعمة هو الاعتراف بحق المنعم ، والاعتراف بحق الله تعالى هو التوحيد والطاعة ، فلذلك فسَّره ابن عباس بهما ، ومعنى قوله : ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ أي مما يجب الشكر عليه ؛ وهو النعمة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ ﴾ أي جحدتم حقي وحق نعمتي ، ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ تهديد بالعذاب على كفران النعمة .

٨. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ ﴾ : عن خلقه وعن شكر العباد ، و(حَمِيدٌ) : مستحق للحمد في أفعاله ؛ لأنه مُتفضِّل بفعله أو عادل فيه .

قال ابن عباس : «يريد لا يُنْقص كفرُكم ملكوت الله شيئاً[٢] ولا تزيد طاعتُكم لله ملْكاً»[٣] .

وقال أهل المعاني : هذا بيان أن[٤] الله تعالى يجلُّ[٥] عن لَحَاق المنافع والمضار .

---

(١) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٢٣ بنحوه ، والوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٦ بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٣ ، والألوسي ١٣/ ١٩٠ .

(٢) التصويب من : (ع) ، وفي باقي النسخ : (شيء) وهو خطأ ظاهر .

(٣) لم أقف عليه ، وقد ورد بهذا المعنى حديث قدسي : «ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنْسكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منْكم ما نقص ذلك من مُلكي شيئاً . .» أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٤ .

(٤) ساقطة من (ع) .

(٥) في النسخ جميعها : (يحل) بالحاء ، والأظهر أنها بالجيم ، ومعنى (يجلُّ عن كذا : يعظم ، ومنه : أي عظم قدره) . انظر : تهذيب اللغة (جلَّ) ١/ ٦٤٠ ، ومجمل اللغة ١/ ١٧٣ ، والصحاح (جلل) ٤/ ١٦٥٨ .

٩. قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ يعني : من بعد هؤلاء الذين ذكرهم ممن أهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ، ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فيه وجهان[١] من التفسير ؛ أحدهما : أن معناه والذين من بعدهم لا يحصى عددهم ولا يعرف تعيينهم وتحصيلهم إلا الله وحده ، وهذا قول ابن عباس لأنه قال : «﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ : لكثرتهم»[٢] ، فأما النسابون الذين نسبوا القبائل إلى آدم فإنهم لا يدَّعون إحصاء جميع الأمم بعد عاد وثمود والإحاطة بمعرفة أجناسها وأنواعها لكنهم ينسبون بعضاً يعرفونه ويمسكون عن نسب بعض ، وقوم من المفسرين يحملونه على أن أكثر أهل العلم يبطلون من النسب ما جاوز عدنان ، ويقولون أولئك أمم لا يَعرف تعيينهم[٣] غير الله -عز وجل-[٤] ولهذا قال ابن مسعود في هذه الآية : «كذب النسَّابون»[٥] ، وقال عروة بن الزبير : «ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء

---

(١) ذكر أن في تفسيرها وجهين ، ولم يذكر إلا وجهاً واحداً .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٨ ، بلفظه ، وورد بمعناه بلا نسبة في تفسير الطبري ١٣/ ١٨٧ ، والسمرقندي ٢/ ٢٠١ .

(٣) في (د) : (هيبتهم) .

(٤) ولذلك جاءت الأقوال مضطربة في ذكر الأسماء والأعداد والسنوات في ما بين عدنان وإبراهيم عليه السلام . انظر : تاريخ الطبري ١/ ٥١٥-٥١٧ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/ ١٧٨-١٨٠ ، والروض الأنف ١/ ١١ ، ١٢ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٢٠ .

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ١٣/ ١٨٧ بنصه من طرق ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥١٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠١ ، والماوردي ٣/ ١٢٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧ ، والزمخشري ٢/ ٣٩٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ٨٨ ، والخازن ٣/ ٧٢ ، والألوسي ١٣/ ١٩٢ . وورد هذا الأثر مرفوعاً إلى النبي ﷺ في طبقات ابن سعد ١/ ٥٦ ، ولفظه : «عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أُدد ، ثم يمسك ويقول : كذب النسَّابون ، قال الله عز وجل : ﴿ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان :٣٨]» ، وأورده ابن عطية في تفسيره ٨/ ٢٠٦ ، وقال : «وفي مثل هذا قال رسول ﷺ : كذب النسَّابون من فوق عدنان» ، وأورده القرطبي في تفسيره ٩/ ٣٤٤ بصيغة التمريض ، قال : «وقد روي عن النبي ﷺ لمَّا سمع النسَّابين =

عدنان»[١] . وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : «بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعرفون»[٢] .

قال ابن الأنباري : «فمن بنى على هذه الآثار ، قال مَنْ فوق عدنان منقطعة معرفتهم عن قلوب الناس ، إلا من كان من الأنبياء الذين نوَّه الله بأسمائهم ، وعلى قول هؤلاء : لا يعرف النسابون أحداً ممن قال الله تعالى : ﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (لأن الله تعالى)[٣] أهلك أمماً من العرب وغيرها فانقطعت أخبارهم وعفت آثارهم وبطلت أنسابهم»[٤] .

= ينسبون إلى معد بن عدنان ثم زادوا فقال : «كذب النسَّابون» ، إن الله يقول :﴿ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾» ، وكذلك أورده النسفي في تفسيره (هامش الخازن) : (٣/ ٧١) بصيغة التمريض أيضاً ، وأورده السيوطي في الجامع الصغير وزاد نسبته إلى ابن عساكر ، ورمز له بالصحة ، وأورده مرة أخرى ورمز له بالضعف . [كما في فيض القدير ٤/ ٥٥٠ ، و(١٠٩/ ٥)] . وهذا الحديث ضعيف ؛ لأنه ورد عن طريق الكلبي ، وهي أوهى الطرق إلى ابن عباس ، والأصح أنه موقوف على ابن مسعود ، كما قال السهيلي في الروض الأنف ١/ ١١ ، وقد أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/ ١٤٤ وحكم عليه بالوضع .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥١٨ بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٩/ ٣٤٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٥ ، وعزاه إلى أبي عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وتفسير الشوكاني ٣/ ٩٩ ، وصديق حسن خان ٧/ ٨٩ .

(٢) ورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥١٨ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٢٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٥ ، وعزاه إلى أبي عبيد وابن المنذر . وهذه أوهى الطرق إلى ابن عباس .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (د) .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي :١/ ٣٠٨ ، مختصراً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٤٨ ، مختصراً .

وقولــه تعالى : ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ اختلفــوا في تأويل هذه ؛ فقال ابن مســعود : «عضُّوا عليها غيظاً»[١] ، والمعنى : سَــبُّوا[٢] الرســلَ وأبغضوهم وثقل عليهم مكانهم ، وعضُّوا على أصابعهم من شــدة الغيظ ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء وابن زيد[٣] واختيار ابن قتيبة[٤] ، واعتبروا هذا بقوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾ [آل عمران :١١٩] وقد مرَّ ، وقال الكلبي : «أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا»[٥] .

ورُوي عن ابن عباس أنه قال : «كان إذا جاءهم الرســول ســكَّتوه وأشاروا بأيديهم إلى أفواه أنفســهم كما تُسَــكِّت[٦] أنت غيرَك»[٧] . وقــال مقاتل : «كانوا يأخذون أيدي الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم»[٨] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤١ بنحوه ، والطبري في تفسيره ١٣/ ١٨٨ بنصه ونحوه من طرق ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٦ب ، والماوردي ٣/ ١٢٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٤٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٨٩ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٥ ، والخازن ٣/ ٧٢ .

(٢) في (ش) و(ع) : (شتموا) .

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ١٨٨ ، ١٨٩ عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) ، وعن ابن زيد ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٦ب ، عن ابن عباس ، انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢٠٧ ، عنهما ، والقرطبي ٩/ ٣٤٥ ، عنهما ، والدر المنثور ٤/ ١٣٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٤) الغريب لابن قتيبة ٢٣٥ .

(٥) ورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٦ب ، وتفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٠٨ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٣٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٨٩ ، والخازن ٣/ ٧٢ .

(٦) في (د) : (سكت) .

(٧) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٩ بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٤٨ بنحوه عن أبي صالح عن ابن عباس ، وورد منسوباً إلى أبي صالح في تفسير الماوردي ٣/ ١٢٤ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٥ ، وعلى هذا القول يكون الضميران في (أيديهم) و(أفواههم) عائدين على المكذبين .

(٨) تفسير مقاتل ١/ ١٩١ب بنحوه ، وعلى هذا القول يكون الضميران في (أيديهم) و(أفواههم) عائدين إلى الرســل . انظر : تفســير أبي حيان ٥/ ٤٠٨ ، وقد ضعَّف ابن عطية ٨/ ٢٠٨ هذا القول ، وقال : «وهذا عندي لا وجه له» .

وذكر الفرَّاء والزَّجَّاج وابن الأنباري قولاً آخر وهو أن المعنى : ردوا نِعَمَ الرسل بأفواههم ، فالأيدي هاهنا المراد بها النِعم .

قال الفرَّاء : «أي ردوا ما لو قبلوه لكان نعماً من الله -عز وجل- عندهم»[١] .

وقال الزَّجَّاج : «ردوا أيدي[٢] الرسل : أي نِعَم الرسل ؛ لأن مجيئهم بالبينات نِعَمٌ»[٣] .

(وقال أبو بكر : «ويجوز أن يكون المعنى : ردوا نعم أنفسهم ؛ لأنها نعم)[٤] من الله عليها[٥] رفضوها واطَّرحوها ، وجاء رجل (في) على معنى الباء ؛ لقيام بعض الصفات مقام بعض[٦] ، وتقول : طيِّئ[٧] : أدخلك الله في الجنَّة ، وأنشد الفرَّاء :

وَأَرْغَبُ فيها مِنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ ... وَلَكِنَّني عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ رَاغبُ[٨]

أراد : أرغب بهذه المرأة عن هؤلاء» .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٠ بنصه .

(٢) في (أ) و(د) ، و(ش) : (الذي) ، والمثبت من (ع) ، وهو الموافق للسياق والمصدر .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٦ بنصه .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع) .

(٥) في (د) : (عليها) .

(٦) انظر : الأزهية ٢٧١ ، ورصف المباني ٤٥٢ ، والجنى الداني في حروف المعاني ٢٥١ .

(٧) قبيلة طيِّء مشهورة ، تنسب إلى طيِّئ بن أُدَد ، واسمه جُلْهُمة ، سُمِّي طيِّئاً لأنه أول من طوى المناهل منازل الطريق من قبائلهم : بنو جَديلة ، وبنو رُومان ، وبنو جَدْعاء ، والثعالب ، وبنو تَيْم . انظر : الاشتقاق ٣٨٠ ، وجمهرة أنساب العرب ٣٩٨ .

(٨) نُسب للفرَّاء في تهذيب اللغة : (ذرأ) ٢/ ١٢٧٣ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٠ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٨٩ ، وأبي حيان ٥/ ٤٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٧٣ . و(سِنْبس) حَيٌّ من قبيلة طيئ . الاشتقاق ٣٩٠ .

وقال أبو إسحاق : «ومعنى في أفواههم : بأفواههم ، أي ردوا تلك النِعَم بالنطق بالتكذيب بما جاءت به الرسل كما يقول : جلست في البيت وبالبيت»[١] ، وهذامعنى قول مجاهد : «ردوا نعمهم بأفواههم»[٢] .

وقال أبو عبيدة : «مجاز هذا مجاز الـمَثَل ، ومعناه : كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به» ، قال : «ويقال : ردَّ يده في فمه ، أي أمسك ولم يجب»[٣] ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٦ ، بتصرف يسير .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٢٧٨ بنصه ، وورد عنه تفسيرها بقوله : «ردوا عليهم قولهم وكذبوهم» ، كما في تفسيره ٤١٠ ، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٨٩ من طرق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥١٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠١ ، والماوردي ٣/ ١٢٥ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٣٦ ، بتصرف يسير ، وقد نُسب هذا القول إلى الأخفش كذلك لم أجده في معانيه . انظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٦ ، وأبي حيان ٥/ ٤٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٧٣ ، وتفسير الألوسي ١٣/ ١٩٤ ، وقد اعترض ابن قتيبة على هذا القول ، وقال : «لم يُسمع أحد من العرب يقول : ردَّ يده في فِيه ، إذا أمسك عن الشيء» . انظر : الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٥ ، وردَّ أبوحيان على اعتراضه قائلاً : «ومن سمع حجة على من لم يسمع ، هذا أبو عبيدة والأخفش نقلا عن العرب» ، انظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٤٠٩ ، وقد أيَّد هذا الرد السمين ، وأورده بألفاظ أخرى ، أما ابن جرير ، فقد أورد قول أبي عبيدة غير منسوب إليه ، وضعَّفه من جهة أخرى ، فقال : «وهذا قول لاوجه له ؛ لأن الله ـعزَّ ذِكْرهـ قد أخبر عنهم أنهم قالوا : ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ فقد أجابوا بالتكذيب» ، تفسير الطبري ١٣/ ١٨٩ ، وقد اعترض أبوحيان على ابن جرير كذلك ، فقال : «ولا يرد ما قاله الطبري ؛ لأن أبا عبيدة يريد أنهم أمسكوا وسكتوا عن الجواب المرضي الذي يقتضيه مجيء الرسل بالبينات ؛ وهو الاعتراف بالإيمان والتصديق للرسل» ، والحق إن اعتراض أبي حيان ـعلى ابن جريرـ ليس في محله ؛ فطالما أمكن حمل الكلام على ظاهره وعلى الحقيقة ، فلا حاجة إلى هذه التأويلات ، ففي كتاب القواعد للمقَّري ٢/ ٤٩٧ يقول في القاعدة (٢٥٦) : «كل ما له ظاهر فهو مصروف إلى ظاهره ، إلا لمعارض راجح ، وكل مالا ظاهر له فلا يترجح إلا بمرجح» .
ويقول الشنقيطي في تفسيره ٣/ ١٠٠ : «والقاعدة المقررة عند علماء الأصول هي حمل نصوص الوحي على ظواهرها ، إلا بدليل من كتاب أو سنَّة» ، لذلك فالأرجح من هذه الأقوال في معنى الآية : هو القول الأول ؛ وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ؛ لكونه على ظاهره ولا يحتاج إلى تأويل ، وتؤيده آية آل عمران [١١٩] ، وقد رجَّح هذا القول كل من الطبري ١٣/ ١٨٩ ، والنحاس في معانيه ٣/ ٥١٩ ، وابن قتيبة في غريبه ١/ ٢٣٥ ، وأيَّد اختياره بقول الشاعر : (يرُدُّون في فِيه عَشْر الحسُود) يقول : يعني أنهم يغيظون الحسود حتى يعض أصابعه العشر .

ويكون المعنى على هذا : لم يجيبوا الرسل إلى ما دعوهم إليه ، فعبَّر عن ترك إجابتهم بوضع اليد في الفم ؛ وذلك أن الواضع يده في فمه لا يقدر على الكلام .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ ﴾ ؛ أي على زعمكم بالإرسال ؛ لأنهم لم[١] يُقرُّوا أنهم أرسلوا .

١٠-١٣ . قوله تعالى : ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾ الآية ، هذا استفهام معناه الإنكار أي لا شكَّ في الله ، والمعنى في توحيد الله ، ثم وُصف بما يدل على وحدانيته ؛ وهو قوله : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ ﴾ أي بالرسل والكتب .

وقال ابن عباس : «﴿ يَدۡعُوكُمۡ ﴾ : إلى طاعته»[٢] .

﴿ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾ قال أبو عبيدة : «(من) زائدة»[٣] ، وأنكر سيبويه زيادتها في الواجب[٤] . فإن حكمنا بزيادتها[٥] فهو ظاهر ، وإن لم يُحكم

---

(١) في (أ) و(د) : لو ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٢) ورد بلا نسبة في تفسيره الوجيز ١/ ٥٧٩ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٦ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٣٦ بنحوه ، ومن القائلين بزيادة (من) مطلقاً دون أي شروط أو قيود الأخفش . انظر : معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٧٢ ، وإيضاح الشعر لأبي علي الفارسي ٢٥٧ ، والمحتسب ١/ ١٦٤ ، وتفسير ابن عطية ١/ ٣١٤ ، وشرح المفصل ٨/ ١٠ .

(٤) مذهب سيبويه وجمهور البصريين أن (من) لا تزاد إلا إذا كان مجرورها نكرة في سياق نفي أو نهي أو استفهام ، وأن تكون فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ ؛ مثل : هل من رجل في الدار ، وما كلمت من أحد ، وماجاءني من أحد ، انظر : الكتاب ١/ ٣٨ ، ٢/ ١٣٠ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، والتعليق على كتاب سيبويه لأبي علي الفارسي ١/ ٦٧ ، وتأويل مشكل القرآن ٢٥٠ ، والأصول لابن السراج ١/ ٤١٠ ، والبيان في الإعراب ١/ ٣٢٠ .

(٥) مسألة الزيادة في القرآن اختلف النحويون والمفسرون في القول بزيادة بعض الحروف في التنزيل . ومن هذه الحروف : (إنْ- أنْ- لا- ما- من- الباء- اللام- الكاف . .) والمقصود بأنها زوائد : أي تأتي في بعض الموارد زائدة يمكن الاستغناء عنها ، لا أنها لازمة للزيادة ويمكن الاستغناء عنها في كل حال . وفي المسألة مذهبان : المذهب الأول : إنكار القول بزيادة الحروف في آي التنزيل ، نقل الزركشي في =

= البرهـان ٣/ ٧٢ أن الطرطوسي قـال في العمدة : «زعم المبرِّد وثعلب ألا صلـة في القرآن ، والدهماء من العلماء والفقهـاء والمفسرين على إثبات الصِّلات في القرآن ، وقد وُجد ذلك على وجه لا يسـعنا إنـكاره» . وممن يرى ذلك ابن السراج ، فقد نقل عنه ابن الخباز في التوجيه : «أنه ليس في كلام العرب زائد ، لأنه تكلُّم بغير فائدة ، وما جاء كذلك فمحمول على التوكيد» . البرهان ٣/ ٧٢ ، وممن نص على منع الزوائد في القرآن داود الظاهري ـرحمه اللهـ فقد نقل عنه بعض أصحابه أنه كان يقول : «ليس في القرآن صِلة بوجه» . البرهان ٢/ ١٧٨ .

وممن أنكر الصلة في القرآن الرازي ، فقد قال في ردّه على أبي عبيدة : «أما قوله إنها صلة ، فمعناه الحكم على كلمة من كلام الله تعالى بأنها حشـو ضائع فاسد ، والعاقل لا يُجوِّز المصير إليه من غير ضرورة» . تفسـير الرازي ١٩/ ٩٤ ، ويرى ابن مضاء في ردّه على النحاة تحريم دعوى الزيادة ، إذ يقول : «ومن بنـى الزيادة في القرآن بلفـظ أو معنى على ظنٍّ باطل قد تبيَّن بطلانه ، فقـد قال في القرآن بغير علم ، وتوجَّـه الوعيد إليه ، ومما يدل على أنه حرام ؛ الإجماع عـلى أنه لا يزاد في القرآن لفظ غير المجمع على إثباته ، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ ، بل هي أحرى ؛ لأن المعاني هي المقصود ، والألفاظ دلالات عليها ومن أجلها» . الرد على النحاة ٧٤ .

المذهب الثاني : تجويز القـول بالزوائد في التنزيل ، يقول الزركـشي في البرهان ٣/ ٧٣ : «ومنهم من جَوَّزه وجعل وجوده كالعدم ، وهو أفسـد الطرق» . وقد بيَّن الزركشي مقصودهم بالزوائد بأنها من جهة الإعـراب لا من جهة المعنى ، يقـول : «ومرادهم أن الكلام لا يختل معنـاه بحذفها ، لا أنه لا فائـدة فيه أصلاً ، فإن ذلك لا يُحتمل من متكلِّم فضـلًا عن كلام الحكيم» . البرهان ١/ ٣٠٥ . وذكر ابن الخشـاب أن الأكثرين ذهبوا إلى جواز إطـلاق الزوائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسـان القوم ومتعارفهـم وهـو كثير ؛ لأن الزيادة بـإزاء الحذف ؛ هـذا للاختصار والتخفيف ، وهـذا للتوكيد والتوطئة ، ومنهم من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام . البرهان ١/ ٣٠٥ ، والأكثرون الذين أشـار إليهم ابن الخشـاب من النحـاة ومنهم المبرِّد الذي زعم الطرطوسي أنه ينكـر دعوى الزيادة فقد قال في المقتضب ٤/ ١٣٧ : «وأما الزيادة التي دخولها في الكلام كسـقوطها فقولك : ما جاءني من أحد ، وما كلَّمت من أحد ، وكقوله تعالى﴿ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة :١٠٥] إنما هو(خير) ولكنَّها توكيد» ، ومع قول النحاة بالزيادة ، فقد تحاشا بعضهم إطلاق لفظ الزيادة في القرآن ، واستعاضوا عنها بألفاظ مهذَّبه ؛ كالصلة ، والتوكيد ، والإلغاء . . ونحوها ، لكن بعضهم وللأسف اسـتخدم عبارات لا تليق بالقرآن كالحشـو واللغـو . . ونحوها . انظـر : شرح المفصل ٨/ ١٢٨ ، ومابعدها ، والأشـباه والنظائر ٢/ ١٥٦ ، ومابعدها ، ويبدو أن الخلاف بين الفريقين خلاف صُوْري لا يتجاوز الألفاظ والعبارات ، لذلك فالأولى تجنُّب إطلاق لفظ : زائد في القرآن ، فضلاً عن (حشو) و(لغو) ، وإذا اضطر الإنسان إلى التعبير عن ذلك فليكن بلفظ (صلة) و(توكيد) .

بزيادتها فقال بعضهم هي : للتبعيض[١] . وذُكِر البعضُ هاهنا وأُريد به الجميع توسعاً[٢] .

وقال بعضهم : (مِنْ) هاهنا للبدل[٣] ، والمعنى : لتكون المغفرة بدلاً من الذنوب ، فدخلت (من) لِتُضمَّن المغفرة معنى البدل من السيئة .

---

(١) انظر : غرائب التفسير ١/ ٥٧٥ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٩٥ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٦ ، وأبو حيان ٥/ ٤٠٩ ، وابن جزي ٢/ ١٣٨ ، والألوسي ١٣/ ١٩٦ ، وصديق خان ٧/ ٩٢ .

(٢) ذكر المفسرون أقوالاً أخرى في توجيه معنى التبعيض في الآية ، انظر : الكشاف ٢/ ٣٩٥ ، والرازي ١٩/ ٩٣ـ٩٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤٠٩ ، وابن جزي ٢/ ١٣٨ .

(٣) انظر : غرائب التفسير ١/ ٥٧٥ ، والإملاء ٢/ ٦٧ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥١ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٧ ، والدر المصون ٧/ ٧٥ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٧ ، وقد أنكر الفخر الرازي ـرحمه اللهـ ورود (من) للبدل في اللغة ، فقال : «وأما قوله (أي الواحدي) : المراد منه إبدال السيئة الحسنة ، فليس في اللغة أن كلمة (من) تفيد الإبدال ١٩/ ٩٤» ، وهذه الدعوى غريبة من الفخر الرازي ، فإذا كان هو ممن يذهب كما ذهب غيره إلى عدم القول بأن (مِنْ) تأتي للبدل ، فقد قال بذلك غيره ، فكان ينبغي أن ينفي صحة القول بها عنده لا أن ينفيها من اللغة . ومن القائلين بها عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران :١٠] : الزمخشري ١/ ١٧٦ ، وأبو حيان ٢/ ٢٨٨ ، وابن هشام في مغنيه ٤٢٢ ، والزركشي في البرهان ٤/ ٤١٩ ، بل لقد قال أبوحيان ـرحمه اللهـ في قوله تعالى : ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [التوبة :٣٨] : «تظافرت أقوال المفسرين على أن (من) بمعنى بدل ؛ أي بدل الآخرة ، كقوله : ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف :٦٠] : أي بدلاً منكم» ، وقد أيَّد قوله بقول الشاعر :

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى الطَّهَيَانِ

أي بدل ماء زمزم . والطَّهيَانُ : عود ينصب في ناحية الدار للهواء تعلق فيه أوعية الماء حتى يبرد ، تفسير أبي حيان ٥/ ٤١ ، وانظر : الإملاء ٢/ ٦٧ ، والدر المصون ٧/ ٧٥ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٧ .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال ابن عباس : «ويمتعكم في الدنيا في النعيم والنضارة[١] إلى الموت»[٢] .

قال المفسرون : معناه : لا يعاجلكم بالعذاب[٣] .

قال صاحب النظم : «أي إن لم تجيبوا إلى ما يدعوكم إليه عوجلتم بالعذاب عن أجل الموت المسمى لكم»[٤] .

---

(١) في (أ) و(د) : (والعضارة) ، ومطموسة في (ع) ، والمثبت من (ش) ، وهو الصحيح لانسجامه مع السياق والمعنى ، و(النضارة) مأخوذ من النضرة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة :٢٢] ، قال الفرَّاء : : «معناه مشرقة بالنعيم» ٢١٢/ ٣ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٩٥ ، والألوسي ١٣/ ١٩٧ .

(٣) ورد في تفسير الطبري ١٣/ ١٩٠ ، بنحوه ، والسمرقندي ٢/ ٢٠٢ بمعناه ، والثعلبي ٧/ ١٤٧أ بنصه ، والماوردي ٣/ ١٢٦ بنحوه ، وانظر : البغوي ٤/ ٣٣٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٤٧ ، والخازن ٣/ ٧٢ .

(٤) هذا القول يومئ إلى القول بالأجلين الذي يذهب إليه المعتزلة ، وقد ذكره الزمخشري ٢/ ٣٩٥ صراحة فقال : «﴿ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أي إلى وقت سماه الله وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم ، وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ، يقول شارح العقيدة الطحاوية ٩٢ عن هذا المبدأ الاعتزالي : «وعند المعتزلة المقتول مقطوع عليه أجله ، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله ، فكان له أجلان ، وهذا باطل» ، والعدل والإنصاف يقتضي تقييد كلام الإمام ابن أبي العز ، فليس كل المعتزلة يقولون بذلك ، وقد ذكره الخبير بهم أبو الحسن الأشعري ـرحمه اللهـ الذي عاش بين ظهرانيهم وتمذهب بمذهبهم أولاً عند حديثه عن الآجال ، فقال : «اختلفت المعتزلة في ذلك على قولين : فقال أكثر المعتزلة : الأجل هو الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان يموت فيه أو يقتل ، فإذا قُتل قُتل بأجله وإذا مات مات بأجله ، وشذَّ قوم من جُهَّالهم فزعموا أن الوقت الذي في معلوم الله سبحانه أن الإنسان لو لم يُقتل لبقي إليه ، هو أجله دون الوقت الذي قُتل فيه» . مقالات الإسلاميين ٢٥٦ ، وقد سمَّى البغدادي ـ في أصول الدين ١٤٢ ـالذين وافقوا اهل السنَّة في هذه المسألة ـ كأبي الهذيل والجبائي ، ومذهب اهل السنّة في هذه المسألة ـكما بيَّنه الطحاوي ـرحمه اللهـ هو : وقدَّر لهم أقداراً وضرب لهم آجالاً . يعني أن الله قدَّر آجال الخلائق بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، فمن مات بأي نوع من أسباب الموت قتلاً أو مرضاً أو غرقاً أو حرقاً . . فقد مات بأجله . شرح الطحاوية ٩٩ ، ١٠٠ .

أما الرد على القائلين بالأجلين : فقد أشار ابن أبي العز ـرحمه اللهـ في ردّه إلى أن هذا القول يقتضي =

وباقي الآية وما بعدها إلى قوله : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ظاهر ، ومعنى ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ذكرناه في قصة شعيب [الأعراف آية :٨٨] . وذكر ابن الأنباري هاهنا ، أن قوله : ﴿ لَتَعُودُنَّ ﴾ في الظاهر عطف على جواب اليمين ، ثم أجاب عن هذا وقال : «معنى الكلام لنخرجنَّكم من أرضنا حتى تعودوا في ملتنا ، ولكي تعودوا ، وإلا تعودوا[1] ، لقول امرئ القيس[2] :

. . . . . إِنَّما نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتُ فَنُعْذَرَا

= تجهيل الله ـ تعالى الله عما يقولون ـ فقال : «وهذا باطل لأنه لا يليق أن يُنسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه ألبتة ، أو يجعل أجله أحد الأمرين ، كفعل الجاهل بالعواقب» . شرح العقيدة الطحاوية ١٠٠ .

(١) هذان المعنيان لـ (أو) بمعنى (حتى) أو (إلا أن) ذكرهما بعض المفسرين كالطبري ١٣/ ١٩١ ، ١٩٢ ، والثعلبي ٧/ ١٤٧أ ، والبغوي ٤/ ٣٣٩ ، وأنكر آخرون أن يُراد بها أيٌّ من القولين هنا ، وأنها على بابها أي التخيير يقول ابن العربي في رده عليهم : «وهو غير مفتقر إلى هذا التقدير ، فإن (أو) على بابها من التخيير ؛ خيَّر الكفارُ الرسل بين أن يعودوا في ملَّتهم أو يخرجوا من أرضهم ، وهذه سيرة الله في رسله وعباده» . تفسير ابن العربي ٣/ ١١١٦ ، ويقول أبو حيَّان رحمه الله : «وتقدير (أو) هنا بمعنى (حتى) أو بمعنى (إلا أن) قول من لم ينعم (أي يبالغ) النظر في ما بعدها ؛ لأنه لا يصح تركيب (حتى) ولا تركيب (إلا أن) مع قوله ﴿ لَتَعُودُنَّ ﴾ بخلاف لألزمنَّك أو تقضيني حقي» . تفسير أبي حيان ٥/ ٤١١ ، وكذلك السمين ـ رحمه الله ـ ذهب مذهب شيخه ونقل كلامه دون نسبته إليه . الدر المصون ٧/ ٧٦ ، ويقول ابن عاشور رحمه الله : «و (أو) لأحد الشيئين . . وليست هي (أو) التي بمعنى (إلى) أو بمعنى (إلا)» تفسير ابن عاشور ١٣/ ٢٠٦ ، وحَمْلُ (أو) على بابها هو قول جمهور المفسرين ، وهو أولى بالترجح ما دام أن المعنى يستقيم ؛ ولأن هذا هو الأصل ، ولا يُصار إلى المعاني الأخرى إلا عند تعذُّر حملها على المعنى الأصلي ، أو وجود قرينة صارفة وداعية .

(٢) وصدره بتمامه :

فقلتُ لهُ لا تبْك عينُك إنما

ديوانه ٦٤ ، وورد في الكتاب ٣/ ٤٧ ، والصاحبي في فقه اللغة ١٧١ ، وشرح المفصل ٧/ ٢٢ ، والدر المصون ٩/ ٧١٣ ، وورد بلا نسبة في الخصائص ١/ ٢٦٣ ، ورصف المباني ٢١٢ ، وشرح الأشموني ٣/ ٥٢٧ ، والبيت من قصيدة قالها لعمرو بن قميئة اليشكري حين استصحبه في مسيره إلى قيْصر ، والشاهد : قوله (أو نموت) حيث نصب الفعل المضارع بإضمار (أنْ) ، (وأو) بمعنى : (إلا) .

المعنى : إلا أن نموت وحتى نموت ، فكان يجب على هذا أن تكون (أو تعودوا)[١] ، غير أنه غلب ظاهر الكلام ، ونُقل ﴿ لَتَعُودُنَّ ﴾ عن لفظ الشرط إلى لفظ اليمين ، وأُشرك بينه وبين الذي قبله في اللفظ وإن كان مخالفه في المعنى ؛كما قالوا : لو تُرك عبدالله والأسَد لأكله ، فنصبوا الأسد لأنه مخالف الأول ، ورفعه بعضُهم بالنَّسق[٢] للتسوية بين اللفظين والمعنيان مختلفان حين أُمن اللبس والإشكال ، وقال تعالى : ﴿ نُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ ﴾ [الفتح :١٦] ، فعطف يُسْلِمون على تقاتلون تغليباً للَّفظ[٣] ، والآخر على المعنى[٤] ، وهذا الذي ذكرنا كله كلامُ أبي بكر ، وهو شرح ما ذكره الفرَّاء في هذه الآية[٥] .

١٤. قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي ﴾ قال صاحب النظم : أشار بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ دون ما قبله لأنه قال : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي ﴾ وخَوْفُهم لا يكون سبباً لإهلاك الظالمين ، وإنما يكون سبباً لإسكانهم[٦] الأرض ، وهذا يدل على أن (ذلك) يجوز أن يكون إشارة إلى شيء دون شيء مما تقدمه ، كقوله : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡ ﴾ [النساء :٢٥] إشارة إلى إباحة تزويج الأمة . وقد ذكر قبله أحكاماً سوى هذا . وهو قوله : ﴿ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [النساء :٢٥] ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ﴾ وهو في الظاهر كأنه متصل بهذه القصة ،

---

(١) أي اللفظة القرآنية لو كان في غير القرآن (أو تعودوا) بدلاً من ﴿ لَتَعُودُنَّ ﴾ .

(٢) أي بالعطف .

(٣) لأن المعنى مشترك بين الأمرين ؛ أي يكون هذا ، أو يكون هذا ، كأنه قيل : يكنْ قتال أو إسلام . انظر : الكتاب ٣/ ٤٧ ، والمقتضب ٢/ ٢٧ ، والدر المصون ٩/ ٧١٣ .

(٤) أي الوجه الآخر للرفع ، رفعه على الاستئناف ، كأنه قال : تقاتلونهم أو هم يسلمون . انظر : الكتاب ٣/ ٤٧ ، وشرح المفصل ٧/ ٢٣ ، والدر المصون ٩/ ٧١٣ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٠ـ٧١ .

(٦) في (أ) و(د) : (لأسكنانهم) والمثبت من (ش) و(ع) .

وهو بالمعنى متصل بالقصة التي قبل هذا ، وهو قوله : ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ إلى قوله : ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ .

والمقام هاهنا مصدر كالقيام ، يقال : قام قِيَاماً ومُقَاماً[١] .

ومعنى : ﴿خَافَ مَقَامِي﴾ ، قال ابن عباس : «خاف مُقامه بين يَدَيَّ»[٢] .

وقال الكلبي : «مقامه بين يَدَي رب العالمين يوم القيامة»[٣] ، وهذا قول أكثر المفسرين[٤] .

وعلى هذا ، هو من باب إضافة المصدر إلى المفعول[٥] ؛ كما تقول : ندمت على ضربك[٦] ، وسُرِرْتُ[٧] برؤيتك[٨] ، ومنه : ﴿بِسُوَالِ نَعْجَتِكَ﴾[٩] [ص :٢٤] ، و﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾[١٠] [فصلت :٤٩] .

---

(١) انظر : المحيط في اللغة (قوم) ١١٥٢ ، والمحكم لابن سيده ٦/ ٣٦٤ ، والمفرادات للراغب ٦٩٠ ، وعمدة الحفاظ ٣/ ٤١٨ ، والقاموس المحيط ١٤٨٧ .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي :١/ ٣١١ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٠ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي :١/ ٣١١ بنصه .

(٤) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٠ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٢ ، والثعلبي ٧/ ١٤٧ب ، والماوردي ٣/ ١٢٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٠ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٨ ، والخازن ٣/ ٧٣ .

(٥) انظر هذه المسألة في : شرح جمل الزَّجَّاجي لابن هشام ٢٠١ ، وشرح ابن عقيل ٣/ ١٠٢ ، وشرح الأشموني ٢/ ٥٥٤ .

(٦) وتقديره : ندمت على ضربي إيَّاك . انظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٧ب .

(٧) في (أ) و(د) : (سرت) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٨) وتقديره : سررت برؤيتي إياك . انظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٧ب .

(٩) وسياقها ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ ، والتقدير : لقد ظلمك بسؤاله إيَّاك نعجتك ، فحذف الهاء التي هي فاعل في المعنى ، والمفعول الأول ، وأضاف المصدر إلى المفعول الثاني . انظر : البيان في الإعراب ٢/ ٣١٤ ، والفريد في الإعراب ٤/ ١٦٠ .

(١٠) وسياقها : ﴿لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ ، والتقدير : لا يسأم الإنسان من دعائه الله بالخير ، =

قال الفرَّاء : «وإن شئت قلت : ذلك لمن خاف مقامي عليه ومراقبتي[١] ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد :٣٣]» . وعلى هذا الوجه : المصدر مضاف إلى الفاعل ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ ﴾ [الرحمن :٤٦] ، الوجهان[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ، الوعيد : اسم من أوعد إيعاداً[٣] ؛ أي تهدد ، معناه : الخبر عن العقاب على الإجرام ، قال ابن عباس : «خاف مما أوعدت من العذاب»[٤] .

١٥ . قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ ﴾ ذكرنا معنى الاستفتاح عند قوله : ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ ﴾ [البقرة :٨٩] ، وللاستفتاح هاهنا معنيان ،

= فحذف الفاعل والمفعول الأول ، والباء من المفعول الثاني ، وأضاف المصدر إلى المفعول الثاني . انظر : البيان في الإعراب ٢/ ٣٤٢ ، والفريد في الإعراب ٤/ ٢٣٣ .

(١) هذا القول الذي نسبه إلى الفرَّاء ، لم أجده في معاني القرآن للفرَّاء ، إنما المذكور هو قول الجمهور حيث قال معناه : «ذلك لمن خاف مقامه بين يديَّ» ، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧١ ، ولعل الواحدي نقله من كتب الفرَّاء الأخرى ، ويؤيده أن بعض المفسرين نسبوا معنى هذا القول إلى الفرَّاء ، إلا أن يكونوا نقلوه عن الواحدي- وهو احتمال قوي . انظر : الدر المصون ٧/ ٧٨ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٨ ، وتفسير الألوسي ١٣/ ٢٠٠ .

(٢) فإذا قُدِّر إضافته إلى فاعله ، كان تقديره : خاف قيام ربه عليه ، وإذا قُدِّر إضافته إلى مفعوله كان تقديره : خاف قيامه بين يدي ربه . انظر : تفسير أبي حيان ٨/ ١٩٦ ، والدر المصون ١٠/ ١٧٧ .

(٣) قال ابن السكيت : «قال الفرَّاء : يقال وعدْته خيراً ووعدْته شرّاً بإسقاط الألف ، فإذا أسقطوا الخير والشرَّ ، قالوا في الخير : وعدْتُه ، وفي الشرَّ : أوعدْتُه ، وفي الخير : الوعْدُ والعِدةُ ، وفي الشر : الإيعادُ والوعيدُ ، وإذا قالوا : أوعدته بالشر أو بكذا ، أثبتوا الألف مع الباء كقولك : أوعدته بالضرب» . إصلاح المنطق ٢٢٦ .
وانظر : تهذيب اللغة (وعد) ٤/ ٣٩١٥ ، والمحكم ٢/ ٢٣٦ ، وتهذيب إصلاح المنطق ٥١٨ ، واللسان ٨/ ٤٨٧٢ ، وعمدة الحفاظ ٤/ ٣٧٢ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١١ بنصه ، وانظر : الرازي ١٩/ ١٠١ .

أحدهما : طلب الفتح بالنصرة[١] ، والثـاني : طلبه بالقضاء[٢] ، وكلا المعنيين ذكره المفسرون .

قال ابن عباس : «يعني استنصروا»[٣] .

وقال مجاهد وقتادة : «يعني الرسلُ استنصروا الله ، ودعوا على قومهم بالعذاب لَمَّا يئسـوا من إيمانهم»[٤] ، كما قال نوح : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [نوح :٢٦] ، وقول موسـى : ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ الآية . [يونس :٨٨] ، وقال لوط : ﴿ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت :٣٠] ، وهذا المعنى اختيار أبي إسحاق ؛ قال : «سألوا الله أن يفتح عليهم ؛ أي[٥] ينصرهم ، وكل نصر فهو فتح»[٦] .

---

(١) بمعنى الاستنصار : أي طلبوا النصرة من الله .

(٢) بمعنى الاستقضاء : أي تحاكموا إلى الله وسألوه القضاء بينهم مأخوذ من الفُتاحة ؛ وهي الحكومة . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٠١ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ١٩٢أ ، بلفظه ، والثعلبي ٧/ ١٤٧ب ، بلفظه ، والماوردي ٣/ ١٢٧ بنحوه ، والطوسي ٦/ ٢٨٢ بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥١ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٨ .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٣٣٤ بنحوه ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤١ بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٣/ ١٩٣ بنحوه من عدة طرق عنهما ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٣ ، عن قتادة ، والثعلبي ٧/ ١٤٧ب ، عنهما ، والطوسي ٦/ ٢٨٢ عنهما ، أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٣٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عنهما .

(٥) في (أ) و(د) : (أن) والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٦ بنصه .

وقال ابن زيد : «استَقْضَوا»[١] ، وهو قول مقاتل ؛ قال : «يعني الأمم ؛ وذلك أنهم قالوا : اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذِّبنا ، شكَّاً منهم في صدقهم»[٢] ، كقوله : ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [العنكبوت :٢٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ ﴾ ، وذكرنا معنى الجبار في قوله : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ [المائدة :٢٢] ، ومعنى الجبّار هاهنا : المتكبر عن طاعة الله وعبادته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم :١٤] ، قال أبو عبيد عن الأحمر[٣] : «يقال فيه : جَبَرِيَّةٌ ، وجَبَرُوَّةٌ ، وجَبَرُوت ، وجُبُّورَةٌ»[٤] .

---

(١) لم أقف على هذا القول منسوباً إليه ، والذي نسب إليه ، قال : «استفتاحهم بالبلاء» ، أخرجه الطبري شاكر ١٦/ ٥٤٥ ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٢٧ ، والطوسي ٦/ ٢٨٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥١ ، وابن كثير ٢/ ٥٧٨ .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ١٩٢أ ، بتصرف ، وانظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٣ .

(٣) علي بن المبارك الأحمر النحوي صاحبُ الكسائي ، كان مؤدبَ الأمين ، وهو أحد من اشتهر بالتقدم في النحو واتساع الحفظ ، قال ثعلب : «كان يحفظ أربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ماكان يحفظ من القصائد وأبيات الغريب» ، جرت بينه وبين سيبويه مناظرة لما قدم بغداد فغلبه ، توفي سنة ١٩٤هـ ، وقيل غير ذلك . انظر : الأنساب للسمعاني ١/ ١٤٥ ، ونزهة الألباء ٨٠ ، وإنباه الرواة ٢/ ٣١٣ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (جبر) ١/ ٥٣٢ ، بزيادة مصدر خامس هو (جَبُّورَةٌ) .

وحكى الزَّجَّاج : الجَبْرِيَّة ، والجِبرِيَّة ، بكسر الجيم والباء ، والتَّجْبَارُ ، والجِبْرياء ، فهي تسع لغات في مصدر[١] ، وفي حديث امرأة حضرت النَّبي ﷺ فأمرها بأمر فأبت[٢] عليه فقال : «دَعُوها فإنها جبَّارة»[٣] أي مستكبرة[٤] .

وقال الليث[٥] : «قلب جبار ذو كبْر ، لا يقبل موعظة»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ عَنِيدٍ﴾ اختلف أهل اللغة في اشتقاق العنيد ؛ فقال النضر بن شُمَيْل : «العُنُود : الخلاف والتباعد والتَّرك[٧] ، يقال : أشدّ ما عَنَدْت

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٦ ، وقد أورد المصادر التسعة كلها . وتتبعت هذه المصادر في عدة مراجع فوجدتها قد بلغت ثمانية عشر مصدراً ، كلها بمعنى الكِبْر . انظر : المحكم (جبر) ٧/ ٢٨٣ ، واللسان ١/ ٥٣٥ ، والتاج ٦/ ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) في (أ) و(د) : (فنابت) ، وهو تصحيف ، والمثبت من : (ش) و(ع) .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في التواضع ٢٤٧ بنصه عن أنس ، والبزار في كشف الأستار ٤/ ٢٢٢ وضعفه ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ٣٧٥ ، وأبو يعلى في مسنده ٦/ ٣٤ ، والطبراني في الأوسط (مجمع البحرين) ١/ ١٦١ ، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٩١ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٩٩ ، وقال : «وفيه يحيى الحماني ، ضعفه أحمد ورماه بالكذب» ، فهذا الحديث ضعيف كما نص البزار على ضعفه ، وأشار الإمام أحمد إلى ضعفه .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٣٦ .

(٥) الليث هو ابن المظفّر كما سماه الأزهري وقيل : ابن نصر كما في البلغة ، وقيل : ابن رافع ، بن سيَّار الخرساني ، اللغوي النحوي صاحب الخليل ، أخذ عنه النّحو واللغة ، وأملى عليه ترتيب كتاب العين ، ويقال إن الخَلَل الذي وقع فيه كان من جهته ، كان بارعاً في الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو . انظر : مقدمة تهذيب اللغة ١/ ٤٧ ، وإنباه الرواة ٣/ ٤٢ ، وإشارة التعيين ٢٧٧ ، والبلغة ٤٧٤ ، والبغية ٢/ ٢٧٠ .

(٦) لم أقف على مصدره ، ونقله الفخر الرازي عنه ١٩/ ١٠٢ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٩ بنصه ، وانظر : اللسان (عند) ٥/ ٣١٢٤ ، والتاج ٨/ ٤٢٥ .

من قومـــك ، أي باعدت[١] عنهم» ، قال أكثر أهل اللغـــة : وأصله من العنْد[٢] ، وهو الناحية ، يقال : فلان يمشي عَنْداً ، أي ناحية[٣] ، ومنه :

إنِّي كَبيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدا[٤]

فمعنى عَانَد وعَنَدَ : أخذ في ناحية معرضاً .

قال أبو حاتم عـــن الأصمعي : «عَنَدَ فـــلان عن الطريق ، يَعْنِـــدُ عُنُوداً إذا تباعد»[٥] ، وروى شـــمر عن أبي عدنان[٦] عنه[٧] : «عَانَد فـــلانٌ فلاناً إذا جَانَبَه ،

---

(١) في (ش) و(ع) : (تباعدت) .

(٢) (عند) مثلث الأول مختلف المعنى ؛ فالعَنْدُ والعُنُـــودُ : الميل عن الشيء ، وعِنْدَ : ظرفٌ معلوم المعنى ، وقد يفتح عينه ويُضـــم ، والعُندُ : جمع عَنُود ؛ وهي الناقة ترعى وحدها ، والســـحابةُ الكثيرةُ المطر . انظر : إكمال المثلث بتثليث الكلام ٢/ ٤٥٣ ، والدرر المبثثة في الغرر المثلثة ١٥٢ .

(٣) انظر : جمهرة اللغة (عند) ٢/ ٦٦٥ ، ومقاييس اللغـــة ٤/ ١٥٣ ، ومجمل اللغة ٣/ ٦٣١ ، والصحاح ٢/ ٥١٢ ، واللسان ٥/ ٣١٢٤ ، والقاموس ٣٠٢ ، والتاج ٥/ ١٣١ .

(٤) صدره :

إذا ركَبْتُ فاجعلاني وسطاً

ورد بلا نســـبة في المقتضب ١/ ٢١٨ ، والجمهـــرة ٢/ ٦٦٦ ، والصحاح (عند) ٢/ ٥١٣ ، وتفســـير الثعلبـــي ٧/ ١٤٨أ ، وأمالي ابن الشـــجري ١/ ٤٢٢ ، ومغنـــي اللبيـــب ٨٩٤ ، وورد برواية : «إذا نزلتُ . .» في مجاز القـــرآن ١/ ٣٣٧ ، والاقتضـــاب ٤١٥ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٤٥ ، والخزانة ١١/ ٣٢٣ ، وورد برواية : «إذا رَحَلْتُ . .» في المحكم ٢/ ١٥ ، واللسان ٥/ ٣١٢٤ ، والتاج ٥/ ١٣٠ ، وورد بروايـــة : «إذا رَجِلْـــتُ . .» في أدب الكاتب ٤٩١ ، وورد بروايـــة : «إذا ركبتم» في مقاييس اللغة ٤/ ١٥٣ ، معنى البيت : كان الشاعر قد كبر ، والرجل إذا كبر عاد كالصبي ؛ والصبيان يخافون بالليل ، فهو يقول : اجعلاني وسطكما فإني لا أطيق أن أكون في الجانب .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٩ .

(٦) أبو عدنان عبدالرحمن بن عبدالأعلى السُّلمي ، كان عالماً باللغة ، وراوية لأبي البيداء الريَّاحي ، بصريٌّ شـــاعر ، صنَّف في اللغة وغريب الحديث كتبـــاً ، منها (كتاب القوس) و(غريـــب الحديث) . انظر : الفهرست ٧٢ ، وإنباه الرواة ٤/ ١٤٨ ، والبغية ٢/ ٨٠ .

(٧) الضمير عائد على الأصمعي .

ودمٌ عَانِد : يسيل جَانِباً»[١] ، ونحو ذلك قال الكسائي في ما رَوى عنه أبو عبيد : «عَنَدَت الطعنةُ ، إذا سال دمُها بعيداً من صاحبها ، وهي طعنةٌ عانِدةٌ ، وعَنَدَ[٢] الدمُ : إذا سال في جانب[٣] ، والعَنُود من الإبل : التي لا يخالطها إنما هو في ناحية أبداً»[٤] ، وعلى هذا المعنى كلُّ كلامِ أكثرِ المفسرين في تفسير العَنيد ؛ قال قتادة : «العنيد : المعرض عن طاعة الله»[٥] ، وهو قول ابن عباس ومجاهد : «هو المجانب للحق»[٦] .

وقال إبراهيم : «الناكب عن الحق»[٧] .

وقال ابن زيد : «المخالف للحق»[٨] .

وقال أبو إسحاق : «الذي يعدل عن القصد»[٩] .

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨ بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (عندم) ، والعَنْدَم : دمُ الأخوين ، والمثبت من المصدر المنقول عنه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨ ، بتصرف يسير ، وانظر : اللسان (عند) ٥/ ٣١٢٥ ، والتاج ٥/ ١٣١ .

(٤) نُسب هذا القول إلى الليث في تفسير القرطبي ٩/ ٣٤٩ ، وعمدة الحفاظ ٣/ ١٥٦ ، وانظر : التهذيب (عند) ٣/ ٢٥٨٨ ، ومقاييس اللغة ٤/ ١٥٣ ، والمحكم ٢/ ١٤ ، واللسان ٥/ ٣١٢٤ ، والتاج ٥/ ١٣٠ .

(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩٤ بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨ بنصه ، واللسان (عند) ٥/ ٣١٢٤ بنصه ، وفي معظم المصادر أنه فسرها بقوله : الذي يأبى أن يقول لا إله إلا الله . انظر : تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٤١ ، والطبري ١٣/ ١٩٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢١ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٤٧ب .

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٣٣٤ بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٩٣ بنحوه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٣ بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١٤٧ب بنحوه ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢١ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٠ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٤٩ .

(٧) أخرجه الطبري ١٣/ ١٩٣ بنصه من طريقين ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٧ب بنصه ، وانظر : الدر المنثور ٤/ ١٣٧ ، وتفسير صديق خان ٧/ ٩٧ .

(٨) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٧ب بنصه .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٦ بنصه .

وقال قوم من أهل اللغة : أصله من : عَنَدَ الحُبَارَى فرخَه ، إذا عارضه بالطيران أول ما ينهض كأنه يعلمه الطيران[١] ، ومنه المَثَلُ : كلُّ شيء يحب ولده حتى الحُبَارى[٢] ، ويُحب عَنَدَه ؛ أي اعتراضه ، فالمعاند : المعارض لك بالخلاف[٣] .

قال ابن الأعرابي : «أَعْنَدَ الرجل ، إذا عارض إنساناً بالخلاف ، وأعْنَدَ ، إذا عارض بالاتفاق[٤] ، وعاند البعير خطامه ؛ أي عارضه[٥] ، والعَنُود من الإبل ، التي تُعاند الإبل فتعارضه»[٦] ، وقال قوم من أهل اللغة : «معنى عَنَدَ ، إذا أبى قبولَ الشيء مع العلم به تكبراً عنه وبغياً وطغياناً»[٧] ، ومعنى ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ : فاز الرسل بالنصرة ، وخاب كل من كفر ؛ لأنه لم يظفر بما تمنَّى .

(١) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨ بنصه ، وانظر : اللسان (عند) ١٥/ ٣١٢٤ ، والتاج ٥/ ١٣٠ .

(٢) انظر : مجمع الأمثال ٢/ ١٤٦ ، والمستقصى في الأمثال للزمخشري ٢/ ٢٢٧ . يضرب هذا المثل في الموق (أي الحمق) يقول : هي على مُوقها تُحب ولدها وتعلمه الطيران .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨ ، والمحكم ٢/ ١٥ ، والتاج ٥/ ١٣٠ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (عند) ٣/ ٢٥٨٨ ، بنصه .

(٥) المصدر السابق بنصه .

(٦) المصدر السابق بنصه منسوباً للقيسي .

(٧) المصدر السابق بنحوه منسوباً لليث ، وانظر : اللسان (عند) ٥/ ٣١٢٤ ، والتاج ٥/ ١٣٠ .

١٦. قولــه تعالى : ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ [قال ابــن عباس والمفسرون : «يريد أمامه جهنم][(١)] بين يديــه»[(٢)] ، ووراء يكون لخلف وقُدَّام ، وإنما معناه ما توارى عنك ؛ أي ما اسْــتَتَر عنك[(٣)] فعلى هذا إنما قيل (من ورائه) لما بين يديه ؛ لاستتاره عنه ، فصار كما يكون خلفه لَمَّا كان لا يراه . وذهب قوم إلى أن الوراء من الأضــداد ؛ يكون الخلف والقُدَّام[(٤)] ، وهو قول أبي عبيدة[(٥)] ، وابن السِّكِّيت[(٦)] ، وأبي الهيثم[(٧)] .

قال أهل المعــاني : وإنما جاز ذلك[(٨)] لأنه ما من مــكان إلا ويصح أن يكون خلفاً وقداماً ، ولَمَّا[(٩)] كان ما هــو خلف يجوز أن يصير قداماً ، جاز أن يقع الوراء على القُــدَّام[(١٠)] ، ومن هذا قوله تعــالى : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾ [الكهــف :٧٩] ، أي

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ١/ ٣١٢ بنصه عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥١ بنحوه عن ابن عباس ، وانظر : الطبري ١٣/ ١٩٥ ، والثعلبي ٧/ ١٤٨أ ، والماوردي ٣/ ١٢٧ .

(٣) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٦ بنصه .

(٤) انظر : ثلاثة كتــب في الأضداد للأصمعي ٢٠ ، والسجســتاني ٨٢ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٨ ، وتأويل مشــكل القرآن ١٨٩ ، وجمهرة اللغة ١/ ٢٣٦ ، وقد أنكــر الزَّجَّاج والنحاس أن تكون وراء من الأضداد ، ورجحا أن تكون بمعنى الاســتتار ، وهو ما ذهب إليه ثعلب ؛ فقد سئل لم قيل الوراء للأمام ، فقال : «الوراء اســم لما توارى عن عينك ، ســواءً أكان أمامك أم خلفــك» . معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٢ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٢ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٤٣ .

(٥) مجاز القرآن ١/ ٢٣٧ بنحوه .

(٦) الأضداد لابن السكيت (ثلاثة كتب في الأضداد) ١٧٥ ، وانظر : تهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٩ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٩ بنحوه ، وأبو الهيثم هو الرازي ، تقدمت ترجمته .

(٨) أي كون (وراء) من الأضداد .

(٩) في (أ) و(د) : (إنما) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(١٠) معــاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٥٧ بنحــوه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٠٥ بنحــوه ، وانظر : الأضداد للسجستاني (ثلاثة كتب في الأضداد) ٨٢ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٨ .

أمامهم[١] ، ويقال : الموت من[٢] وراء الإنسان ؛ أي أمامه ، وذكر ابن الأنباري وجهاً ثالثاً ؛ وهو : أن وراء هاهنا بمعنى بعد[٣] ، والكناية فيه تعود إلى اليأس الذي دلَّ عليه قوله : ﴿ وَخَابَ ﴾ كأنه قال : من بعد يأسه[٤] جهنم ، كقول النابغة :

وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ[٥]

أي وليس بعد الله مذهب .

وقال مقاتل : «﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ يعني بَعْده»[٦] ، وهذا على معنى أن جهنم تلحقه ، وأن عاقبته تصير إليها ؛ كما يقال : وراءك برد شديد ؛ أي إنه يأتيك ويبلغك ، وأنا من وراء هذا الأمر ؛ أي أصل إليه طالباً ، ومنه قول لبيد :

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ العَصَا تُحْنَى عَلَيْها الْأَصَابِعُ[٧]

---

(١) انظر : المصادر السابقة .

(٢) (من) ساقطة من (ش) و(ع) .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٣ ، وورد بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧ ، وتهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٨ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٢٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٠ ، وقد انتصر ابن عطية لهذا المعنى في رده على الطبري وغيره ممن فسَّروا (ورائه) (بأمامه) ، وذكر أن (وراء) هاهنا على بابها ؛ أي ما يأتي بعد في الزمان . انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢١٧ .

(٤) في (أ) : (بانيه) ، وفي (د) : (بابنيه) ، وفي (ش) و(ع) : (ناسه) ، والتصويب من تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٢)

(٥) صدره :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبةً

ديوان النابغة الذبياني ٢٧ ، وورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧ ، والأضداد لابن الأنباري ٧٠ ، وتهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٩ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٢٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٠ ، والألوسي ١٣/ ٣٠١ ، وهذا البيت من قصيدة قالها يعتذر بها إلى النعمان بن المنذر ويمدحه .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ١٩٢أ ، وعبارته : «من بعدهم» ؛ يعني من بعد موته ، وانظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨أ ، بنصه ، ونقلها عنه .

(٧) شرح ديوان لبيد ١٧٠ ، وورد في الأضداد للسجستاني (ثلاثة كتب في الأضداد) : ٨٣ ، والأضداد =

جعل الشيب وزمانه وراءه، على معنى أنه يأتيه[١] ويلحقه. وبقي شيء من الكلام في وراء سنذكره عند قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ الصديد في اللغة: ماء الجرح المختلط بالدم والقيح[٢]، يقال: أَصَدَّ الجرح.

قال ابن عباس: «يريد صديد القيح والدم الذي يخرج من فروج الزُّناة»[٣]، وهو قول القرظي[٤]، والربيع[٥].

وقال قتادة والكلبي: «هو ما يخرج من جلد الكافر ولحمه»[٦]، وتلخيص قوله: ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾: من مائع سائل هو صديد، وقال أبو علي: «تقديره: من ماء ذي صديد»، قال: «وهذا خلاف قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٧] [الإنسان: ٢١]».

= لابن الأنباري ٦٩، وتهذيب اللغة (ورى) ٤/ ٣٨٧٨، والأغاني ١٤/ ٩٩، واللسان (وري) ١/ ٤٨٢٣، وفي جميع النسخ: (وراء) بحذف الياء والمثبت هو الصواب، والتصويب من الديوان وجميع المصادر السابقة.

(١) في (أ) و(د): (ثابتة)، والمثبت من (ش) و(ع).

(٢) انظر: مجاز القرآن: ٣٣٨، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٦، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧، ونزهة القلوب ٢٩٧، وانظر: تهذيب اللغة (صدَّ) ٢/ ١٩٨٥، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٨٢، ومجمل اللغة ٢/ ٥٣٢، واللسان (صدد) ٤/ ٢٤١٠.

(٣) ورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨أ، وتفسيره الوسيط ١/ ٣١٢ بنصه.

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨أ بنحوه، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٣، والخازن ٣/ ٧٣، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٩، وتفسير الألوسي ١٣/ ٢٠٢، وصديق خان ٧/ ٩٨.

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨أ بنحوه، وانظر: تفسير القرطبي ٩/ ٣٥٢، والألوسي ١٣/ ٢٠٢.

(٦) أخرجه عن قتادة عبدالرزاق ٢/ ٣٤١ بنحوه، والطبري ١٣/ ١٩٥ بنحوه من طريقين، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨أ بنصه عن قتادة، وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٢ عن قتادة، وابن كثير ٢/ ٥٧٨ عن قتادة.

(٧) لم أقف على مصدره.

١٧. قوله تعالى: ﴿ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ قال: جَرِعَ الماء واجْترعَه جَرعاً واجْتراعاً، فإذا تابع الجَرْع مرة بعد أُخرى كالمتكاره، قيل: تَجَرَّعه[١]، فمعنى التَّجَرُّع: تناول المشروب جَرْعة جَرْعة على استمرار، وهو معنى قول ابن عباس: «يريد بالكُرْه»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ ذكرنا معنى (كاد) عند قوله: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ ﴾ [البقرة: ٢٠] ويقال: ساغ الشراب في الحلق، يَسُوْغُ سَوْغاً، وأساغه الله[٣].

وأنشد الفرَّاء[٤]:

وَساغَ لِيَ الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلاً ... أَكَادُ أَغَصُّ بِالماءِ الحَمِيمِ[٥]

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (جرع) ١/ ٥٨٥ بنصه تقريباً، وانظر: المحيط في اللغة (جرع) ١/ ٢٥٠، والتاج ١١/ ٦١، ٦٢.

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي: ١/ ٣١٤، بلفظه.

(٣) انظر: جمهرة اللغة (سوغ) ٢/ ٨٤٦، وتهذيب اللغة ٢/ ١٥٩٧، ومجمل اللغة ٢/ ٤٧٨، ومقاييس اللغة ٣/ ١١٦، والصحاح ٤/ ١٣٢٢، والعباب الزاخر: غ/ ٤٨، واللسان ٤/ ٢١٥٢.

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٢٠، بلا نسبة.

(٥) نُسب لعبدالله بن يعرب (جاهلي) في شرح التصريح على التوضيح ٢/ ٥٠، والدرر اللوامع ٣/ ١١٢ وفيه: (الفرات) بدل (الحميم) ولا فرق؛ لأن الفرات هو الماء العذب، وكذا الحميم؛ لأنها من الأضداد. انظر: الأضداد لابن الأنباري ١٣٨، ونُسب ليزيد بن الصَّعِق (جاهلي) في خزانة الأدب ١/ ٤٢٦، ٤٢٩، ٦/ ٥٠٥، ٥١٠، وعجزه:

أغصُّ بنقطةِ الماءِ الحميم

وورد بلا نسبة في شرح المفصل ٤/ ٨٨، وأوضح المسالكَ ١٤٩، وشرح ابن عقيل ٣/ ٧٣، وتذكرة النحاة ٥٢٧، وشرح الأشموني ٢/ ٥٠٣، وهمع الهوامع ٣/ ١٩٤، والمعنى: يقول لم يكن يهنأ لي طعام ولا يلذ لي شراب، بسبب ما كان لي من الثأر عند هؤلاء، فلما غزوتهم وأطفأت لهيب صدري بالغلبة عليهم ساغ شرابي ولذَّت حياتي.

قال المفسرون في هذه الآية : يتحسَّاه ويشربه بالجَرع لا بمرة واحدة لمرارته[١] ، وقالوا (يكاد) صلة ؛ المعنى : ولا يسيغه[٢] ، كقوله : ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور :٤٠] أي لم يرها ، قال ابن عباس : «لا يُجِيْزُه»[٣] .

وقال أهل المعاني : معنى ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ : بعد إبطاء ، لأن العرب تقول : ما كدت أقوم ؛ أي قمت بعد إبطاء ، قال تعالى : ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة :٧١] يعني : فعلوا بعد إبطاء ؛ لتعذر وجودها ، فعلى هذا (كاد) ليس بصلة .

وقوله : ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور :٤٠] جاز أن تكون صلة ؛ لأنه قد قام الدليل عند وصف تكاثف الظلمة[٤] على عدم الرؤية ، فوضح[٥] بذلك أنَّ ﴿يَكَدْ﴾ مزيد للتوكيد ، والدليل على الإساغة قوله : ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [الحج :٢٠] ، ولا يكون الضمير[٦] إلا بعد الإساغة ، وأيضاً فإن قوله : ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يدل على أنهم

---

(١) ورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨أ ، وتفسيره الوسيط تحقيق سيسي :١/ ٣١٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤١ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٣ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥١ ، والخازن ٣/ ٧٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٣ ، والبغوي ٤/ ٣٤١ ، والزمخشري ٢/ ٢٩٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٣ ، والبيضاوي ٣/ ١٥٨ . وذهب آخرون كالفرَّاء والطبري إلى أنها ليست صلة ؛ لأن العرب تستعمل (لا يكاد) في ما قد فُعِل وفي ما لم يُفْعل ، وذكروا هذه الآية مثالاً على ما فُعل ، فقالوا : معنى ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ ؛ أي يسيغه ، واستشهدوا على ما لم يُفعل بقوله : ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ ؛ أي لم يرها . معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧١ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٩٥ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٠٣ ، وابن جزي ٢/ ١٣٩ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٩ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٤٤ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٢ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥١ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥١٩ .

(٤) بسبب الظلمات الثلاث ؛ ظلمة البحر ، وظلمة الموج ، وظلمة السحاب ، وهو ما أشارت إليه الآية . [النور :٤٠] .

(٥) في النسخ جميعها (فوضع) بالعين ، وهو تصحيف ، والصواب بالحاء .

(٦) أي الكناية في يسيغه تعود على الكافر ، ولو لم تحصل له الإساغة لقال : (لا يكاد يُساغ) ونحوها .

أســـاغوا منه[١] الشيء بعد الشيء ، فكيف يصح أن يقال بعده : لا يُسيغه ، ألبتة ؟فإن قيل فكيف وجه ما قاله المفسرون ؟

قيل : يُحْمل على وجهـــين ؛ أحدهما : ذكره ابن الأنباري وهو أن المعنى : ولا يُسيغ جمْعه ؛ كأنه يَجْرع البعض ، ولم يُسغ الجميع لمرارته ، فوقع الجحدُ بعد إثباتِ التَّجرعِ ؛ على معنى إساغة الكل .

الوجه الثاني : أن معنى الإســـاغة في اللغة إجراء الشراب في الحلق على تَقَبُّل النَّفْس واســـتطابة المشروب[٢] ، والكافر يتجرع ذلك الـــشراب على كراهته ولا يُسيغه أي لا يســـتطيعه ولا يشربه شُرباً بمرة واحدة ، فعلى ما ذكرنا من الوجهين يصـــح أن تكون (يكاد) صلة على ما ذكره المفـــسرون ، وقول من لم يجعل (يكاد) صلةً أمثل .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ ذكر أهل المعاني في ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ ﴾ وجهـــين ؛ أحدهما : أن هذا من باب حذف المضاف ؛ على معنى : ويأتيه هَمُّ الموت وألـــمه وكربُه[٣] ، لأنه يســـتحيل أن يأتيه الموت ؛ عين الموت ، ثم لا يموت ، وقد قال الله : ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ .

---

(١) في النســـخ جميعها (أســـاغوه منه) جَمع بين الضميرين ، فأصبحت العبارة مضطربة ، وتستقيم العبارة بأحـــد الأمرين : إما أن تحذف الهاء فتصير (أســـاغوا منه الشيء بعد الـــشيء) أو تحذف (منه) وتصير العبارة (أســـاغوه ؛ الشيء بعد الشيء) . وكأن التصويب قد جرى في نسخة (ع) بطمس (الهاء) بألف غير واضحة .

(٢) لم يذكر المؤلف اهـــم خصائص الإساغة ؛ وهو السهولة والاستمرارية ، يقول ابن فارس في مقاييس اللغة ٣/ ١١٦ : «السين ، والواو والغين أصل يدل على سهولة الشيء واستمراره في الحلق خاصة ، ثم يحمل على ذلك» اهـ . وكأنه ذكر لازم السهولة والاستمرارية ، وهو تقبل النفس واستطابة المشروب . وانظر : العباب الزاخر : غ/ ٤٩ .

(٣) ورد في تفسير الســـمرقندي ٢/ ٢٠٣ بنحوه ، وانظر : تفســـير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٣ بنصه ، وفي هذا التفســـير نظر ؛ لأن همَّ الموت إنما كان عذاباً لاهـــل الدنيا لخشيتهم من المصير المجهول ، أما اهـــل =

والمعنى : أن الله تعالى حبس نفس الكافر في جسده على اجتماع آلام الموت وأفانينه[١] عليه ليصل إليه الألم ، ومع ذلك لم يفارقه الروح فيستريح . الوجه الثاني : أنه أراد بالموت هاهنا : موت الضُّر والبلاء ؛ كما يقال : فلان ميت مما لحقه ، ومات فلان موتات بما أباح[٢] عليه من البلية ؛ يعني : إنه كالميت وإن كان فيه روح ، كما ورد في الحديث : «إن الفقر مكتوب عند الله الموت الأعظم»[٣] وقد قال الشاعر[٤] :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ... إِنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ

إِنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيباً ... كَاسِفاً بَالُهُ قَلِيلَ الرَّخَاءِ[٥]

= الآخرة من الكفار فإن الموت لم يكن هماً لهم ، بل هو راحة يتمنونه ، كما قال تعالى : ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف :٧٧] ؛ لذلك فالأولى تفسيره بقول ابن عباس ، قال : «أي أنواع العذاب الذي يعذبه الله بها يوم القيامة في نار جهنم ؛ ليس منها نوع إلا يأتيه الموت منه لو كان يموت ، ولكن لا يموت لأن الله تعالى قال : ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر :٣٦] ، انظر : ابن كثير ٢/ ٥٧٩ ، والدر المنثور ٤/ ١٣٩ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم . والغريب عدم إيراده لهذا القول عن ابن عباس كما التزم ، وهو قريب من الوجه الثاني الذي أورده عن أهل المعاني .

(١) ضُرُوبه وأنواعه . المحيط في اللغة (فن) ١٠/ ٣١٥ .

(٢) البَوْحُ : ظهور الشيء ، وباحَ الشيء : ظهر ، وأباح الشيء : أطلقه . اللسان (بوح) ١/ ٣٨٤ .

(٣) لم أجده بلفظه ولا بمعناه في ما تيسر لي من المراجع .

(٤) هو عدي بن الرَّعْلاء الغساني (شاعر جاهلي) .

(٥) ورد البيتان معاً في الأصمعيات ١٥٢ ، ومعجم الشعراء ٧٧ ، وشرح شواهد المغني ١/ ٤٠٥ ، وورد البيت الأول فقط في البيان والتبيان ١/ ١٢٤ ، والحيوان للجاحظ ٦/ ١٣٥ ، والعقد الفريد ٥/ ٤٧٦ ، والاشتقاق ٥١ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٢٤ ، وشرح المفصل ١٠/ ٦٩ ، والخزانة ٦/ ٥٣٠ ، ورواية معجم الشعراء : (الرخاء) بالخاء ، وفي باقي المصادر (الرجاء) بالجيم ، ولا يختلف المعنى . (كاسفاً) : سيئاً حاله ، وقد ورد البيتان في شأن من تدعه الحرب سليماً معافى في ثياب من الذل والخزي ، فحياته ليست إلا موتاً .

فجعله ميتاً ، وهذا قول أبي بكـــر ، وهو معنى قول الأخفش ؛ يعني : البلايا التي تصيب الكافر في النار[١] .

وقوله تعالى : ﴿ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من كل شـــعرة في جسده»[٢] . وقال الثوري : «من كل عِرْق»[٣] ، وهذا قول أكثر المفسرين : جعلوا المكان من جســـده[٤] ، وروي عن ابن عباس في قوله من كل مكان : «أي من كل جهة ؛ من عن يمينه وشماله ، ومن فوقه وتحته ، ومن قدامه وخلفه»[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ قال عطاء عن ابن عباس : «يريد أمامه يوم القيامة»[٦] .

---

(١) ليس في معانيه ، وقد ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨ب بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٤ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٢ ، وأبي حيان ٥/ ٤١٣ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٤٤ ، والألوسي ١٣/ ٢٠٣ ، وصديـــق خان ٧/ ٩٩ ، وقد أنكر أبو حيان والألوسي هذا القول بحجة أن ســـياق الكلام عن أحوال الكافـــر في جهنم وما يلقى فيها . وهذا غير مسَّـــلم لهما ؛ لأن ما يلقاه الكافـــر في نار جهنم من أنواع العذاب هي من البلايا والآلام التي تصيبه ، لكن لا على ســـبيل الابتلاء والامتحان ؛ لأن ذلك زمنه الدنيا وقد ولَّى .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ١/ ٢١٤ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٣ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٤ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٣ .

(٤) ورد بنحوه في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٢ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٦ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٩٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٣ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٣ ، والثعلبي ٧/ ١٤٨ب ، والماوردي ٣/ ١٢٨ .

(٥) ورد في معـــاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٢ بنحوه من طريق الكلبي (ضعيفة) ، وتفســـير الماوردي ٣/ ١٢٨ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٥٤ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٢ ، والألوسي ١٣/ ٢٠٢ .

(٦) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٣/ ١٩٦ ، والثعلبي ٧/ ١٤٨ب ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٣ ، والمشكل لمكي ١/ ٤٤٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٢ ، والقرطبي ٩/ ٣٥٢ ، والخازن ٣/ ٧٤ .

وقال الكلبي : «يقول من بعد الصديد عذاب غليظ»[١] ، وهذا اختيار أبي إسحاق وأبي بكر ؛ قال أبو إسحاق : «أي ومن بعد ذلك»[٢] ، وقال أبو بكر : «ومن بعد هذا العذاب المذكور عذاب غليظ»[٣] ، ومعنى غِلَظِ العذاب : اتصال الآلام وكثرتها ؛ كالشيء الغليظ الذي كثر أجزاؤه وتكاثف ، كما قلنا في : ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة :٧]

١٨. قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية . اختلفوا في الرفع للمثل ، فقال الزَّجَّاج : «هو مرفوع على معنى : وفي ما يتلى عليكم»[٤] ، وهذا مذهب سيبويه[٥] . وقال الفرَّاء : «التقدير مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد ، فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه ، وذلك أن العرب تقدِّم المضاف إليه لأنه أعرف[٦] ، ثم يأتي بالذي يخبر به عنه معه كهذه الآية ، ألا ترى أنه قَدَّم (الذين) ثم ذكر بعده الأعمال مضافة إلى الكناية عن الذين ؛كقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة :٧] ؛ أي خَلْقَ كُلِّ شيء ، ومثله قوله : ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر :٦٠] المعنى :

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٤ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٥/ ٣٥٤ بنصه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧ بنصه .

(٣) لم أقف على مصدره ، وقد بين ابن الأنباري في هذا القول أن الضمير في ورائه يعود على العذاب المتقدم ، وقد ورد هذا القول بلا نسبة في إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٨٠ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٤٤٦ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٢٠ ، والبيان في غريب الإعراب ٢/ ٥٦ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤١٣ ، والدر المصون ٧/ ٨١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧ بنصه ، والتقدير كما بيَّنه : «وفي ما يتلى عليكم مثلُ الذين كفروا بربهم ، أو مثلُ الذين كفروا بربهم في ما يتلى عليكم» .

(٥) الكتاب ١/ ١٤٣ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٠ ، ١٨١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٤٤٧ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤١٤ ، والدر المصون ٧/ ٨١ .

(٦) لأن المضاف غالباً ما يكون نكرة ، وتكون غامضةً ومبهمةً ، فيزيل المضاف إليه الغموض ويوضحه .

ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودَّة»[١] ، وفي هذا أقوال ووجوه ذكرناها مستقصاة في قوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [آية :٣٥] في سورة الرعد .

وقوله تعالى : ﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ﴾ قال الليث : «الرَّمادُ دُقاق الفحم من حُراقةِ النار ، وصار الرَّمادُ رماداً إذا صار هباءً أدق ما يكون[٢] ، ورمَّد اللحمَ ، إذا ألقاه في الرماد[٣] ، ومنه المثل : شَوى أَخُوك حتى إذا أَنْضَجَ رَمَّدَ»[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ قال ابن السِّكِّيت : عصفت الريح وأعصفت ، فهي ريح عاصف ومُعْصِفة إذا اشتدت[٥] ، وقال الزَّجَّاج في باب الوفاق : عَصَفَت الرِّيحُ عُصُوْفاً وأعْصَفت إعصافاً ، إذا اشتد هبوبها[٦] ، قال الفرَّاء : «جعل العُصُوْفَ تابعاً لليوم في إعرابه[٧] ، وإنما العُصُوف للرياح ، وذلك جائز على وجهين : أحديهما[٨] : أن العُصُوْفَ ، وإنْ للرِّيح ، فإن اليوم قد يُوصَفُ به ؛ لأن الريح تكون فيه ، فجائز أن يقول : يومٌ عاصفٌ[٩] ؛ كما يقال : يومٌ باردٌ ،

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٢ ، مختصراً ، ووردت في تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٨ب بنحوه ، والظاهر أنه نقلها عن الثعلبي وبسطها .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (رمد) ٢/ ١٤٦٦ بنصه .

(٣) انظر : جمهرة اللغة ٢/ ٦٣٩ .

(٤) ورد في جمهرة اللغة ٢/ ٦٣٩ ، والأمثال لابن سلَّام ٦٦ ، ومجمل اللغة ١/ ٣٩٨ ، والمحيط في اللغة (رمد) ٩/ ٣٠٨ ، ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٠ ، واللسان ٣/ ١٧٢٦ ، ويُروى هذا المثل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويضرب للرجل يصنع المعروف ثم يفسده بالمنِّ والأذى ، ويضرب أيضاً للذي يبتدئ بالإحسان ثم يعود عليه بالإفساد .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (عصف) ٣/ ٢٤٦٣ بنصه .

(٦) فعلت وأفعلت ٦٥ بنصه .

(٧) في النسخ جميعها : (إغوائه) ، والتصويب من المصدر .

(٨) في (د) : (إحداهما) .

(٩) والتقدير : في يوم عاصف ريحُه ، ثم حذف (ريحه) للعلم به وجُعلت الصفة لليوم . انظر : مشكل إعراب القرآن لمكيٍّ ١/ ٤٤٧ ، والبيان في غريب الإعراب ٢/ ٥٧ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥٥ .

ويــومٌ حارٌ ، والبرد والحر فيهــما»[١] ، وقال أبو عبيدة : «العــرب تفعل ذلك في الظرف» ، وأنشد لجرير :

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ في السُّرَى وَنِمْتِ وَمــا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنائِمِ[٢]

فوصف الليل بالنوم لَمَّا كان فيه ، ومثله : يوم ماطر ، وليلة ماطرة[٣] ، وقال أبو حاتم : «هذا من كلام العرب ، قال الله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ :٣٣] أضاف إليهما وهما لا يمكران[٤] ، وقال : ﴿ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾[يونس :٦٧][٥] ومنه قول جرير :

وَأَعْوَرَ مِنْ نَبْهانَ أَمَّــا نَهارُهُ فَأَعْمَــى وَأَمَّــا لَيْلُــهُ فَبَصِــيرُ[٦]

---

(١) معــاني القرآن للفــرَّاء ٢/ ٧٣ بتــصرف ، وانظر : الطــبري ١٣/ ١٩٧ ، وتهذيــب اللغة (عصف) ٣/ ٢٤٦٣ .

(٢) ديوان جرير ٤٥٤ ، وهو من قصيدة قالها يجيب بها الفرزدق . وورد في الكتاب :١/ ٣٩ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٩ ، والكامل للمــبرِّد ١/ ١٣٥ ، ٢١٩ ، والخزانة :١/ ٤٦٥ ، وورد غير منســوب في المقتضب ٣/ ١٠٥ ، ٤/ ٣٣١ ، والكامل ٢/ ١٣٥٦ ، وأمالي ابن الشجري ١/ ٥٣ ،٢/ ٢٩ .
(أم غيــلان) هي بنت جرير . و(المطي) جمع مطيَّة ؛ وهي الراحلــة التي يمتطى ظهرها ؛ أي تُركب . و(السُّرى) سير الليل .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٣٩ ، بتصرف يسير .

(٤) لم أقف على مصدره ، ومعنى الآية : بل مَكْرُكُم بنا في الليل والنهار . انظر : الكامل للمبرِّد :١/ ١٣٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٤ ، وتفسير ابن الجوزي ٦/ ٤٥٧ .

(٥) أي مضيئــاً تبــصرون فيه ، وإنما أضــاف الإبصار إليه ؛ لأنه ظــرف يُفعل فيه غيره . انظر : تفســير ابن الجوزي ٤/ ٤٦ .

(٦) ديوان جرير ٢٠٣ .

قال الفـــرَّاء : «والوجه الآخر[١] أن يريد : في يـــوم عاصفِ الريح ، فَيَحذِف الريح ؛ لأنها قد ذُكرت[٢] في أول الكلام ، كما قال[٣] :

إِذا جاءَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّمْسِ كاسِفُ»[٤]

يريد كاســـف الشـــمس ؛ فحذفه لأنه قَدَّم ذكره ، ومضى مثل هذا في قوله : ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس :٢٢] ، قال الزَّجَّاج وغيره : «تأويله أن كل ما تقرَّب بـــه الذين كفروا إلى الله فمُحْبَطٌ[٥] غير منتفع بـــه[٦] ؛ لأنهم أشركوا فيها غير الله ؛ كالرمـــاد الذي ذرَّته الريح وصار هباءً لا ينتفع به» ، وذلك قوله : ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ ﴾ ؛ أي في الدنيا ، ﴿ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ : في الآخرة ، قال ابن عباس : «يريد لا يجدون ثواب ما عملوا»[٧] .

---

(١) أي من كلام الفرَّاء في جَعْل العُصُوف تابعاً لليوم في إعرابه ، وقد فصل بين الوجهين بإقحام كلام أبي عبيدة وأبي حاتم لتوضيح الوجه الأول ، ولما طال الفصل أعاد نسبة الكلام إلى الفرَّاء .

(٢) في (أ) و(د) و(ع) : (ذكر) ، والمثبت من ش وهو الأنسب للسياق .

(٣) في جميع المصادر جميعها من دون نسـبة ، وذكر شاكر محقق تفسير الطبري ١٣/ ١٩٧ أن البيت لمسكين الدارمي لكن الرواية التي أوردها في ٧/ ٥٢٠ ليس فيها الشاهد ، وهي :

إذا جاء يومٌ مظلمُ اللون كاسفُ

(٤) وصدره :

ويَضْحَكُ عِرْفان الدُّروعِ جُلُودُنا

ورد البيت في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٤ ، وتفسـير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٤ ، والخزانة ٥/ ٨٩ ، وورد عَجُزُه في تهذيب اللغة (عصف) ٣/ ٢٤٦٣ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٩٧ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٣ ، والعباب الزاخر : ف/ ٤٣٩ ، واللسان (عصف) ٥/ ٢٩٧٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٧ بنصه .

(٦) (به) ساقط من (أ) و(د) .

(٧) ورد في تفسيره الوسـيط تحقيق سيسي :١/ ٣١٥ بنصه ، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/ ١٢٩ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٤ .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ قال ابن عباس : «يريد الخسران الكبير»[١] ، وعلى هذا يعني بالضلال : ضلالَ أعمالهم وهلاكَها وذهابَها ، وإذا ذهبت أعمالُهم ذهابَ الرمادِ في عُصُوف الريح ، فقد كَبُرَ خسرانُهم ، ومعنى ﴿ ٱلْبَعِيدُ ﴾ هاهنا : الذي لا يُرْجَى عَوْده ، فهو بعيد من العود ؛ لذهابه على الوجه الذي ذُكر ، وقال الكلبي[٢] : «الخطاء الطويل»[٣] ، فعلى هذا المراد بالضلال هاهنا ضلال الكفار كقوله : ﴿ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء :١٦٧] ؛ أي بعيد من الهدى والرجوع عنه .

١٩. قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ الآية . معنى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ هاهنا التنبيه[٤] على خَلْق السموات والأرض ، وقرأ حمزة والكسائي : (خَالِقَ السَّمَوَاتِ) على فاعل[٥] فمن قرأ : ﴿ خَلَقَ ﴾[٦] أخبر بلفظ الماضي على فَعَل ؛ لأن ذلك أمرٌ ماض ، ومن قرأ : (خَالِقُ) قال هو كقوله : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ [فاطر :١] ، وقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾ [الأنعام :٩٦] وكل هذا مما قد فُصِّل ومَضى ، ومعنى قوله : ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ ذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [يونس :٥] .

---

(١) ورد غير منسوب في تفسير القرطبي ٩/ ٣٥٤ ، والخازن ٣/ ٧٤ .

(٢) (الكلبي) ساقط من (د) .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لأن الرؤية علمية وليست بصرية . انظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٣ ، وابن عطية ٨/ ٢٢٣ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٤ .

(٥) انظر : السبعة ٣٦٢ ، وإعراب القراءات وعللها ١/ ٣٣٤ ، والحجة في القراءات ٢٠٣ ، وعلل القراءات ١/ ٢٨٧ ، والحجة للقراء ٥/ ٢٨ ، وحجة القراءات ٣٧٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٥ ، والتبصرة ٥٥٨ .

(٦) هم ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم . انظر : المصادر السابقة .

وقوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ قال ابن عباس والكلبي : «يريد أُمِيْتُكم يا معشر الكفار وأخلق قوماً غيركم خيراً منكم وأطوع ، وهو خطاب لأهل مكة»[١] .

وقال أهل المعاني : دلَّ بقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (على قدرته على الإهلاك والإذهاب ؛ لأنه إذا قَدر على خلق السموات والأرض)[٢] قدر على إذهابهم بالهلاك ؛ لأن من قدر على الإيجاد قدر على الإفناء[٣] . وأما الجديد ، فمصدره الجِدَّة ، ويقال : أَجَدَّ ثوباً واسْتَجدَّه ، إذا اتخذه جديداً[٤] وأصله من قولهم : قُطع عنه العمل في ابتداء أمره ، وقال المازني في قوله[٥] :

أَرَسْماً جَدِيداً مِنْ سُعادَ تَجَنَّبُ[٦]

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٦ بنصه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٦ ، فيهما عن ابن عباس ، ولم أقف عليه منسوباً للكلبي .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٢٨٧ بنحوه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٢٩٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٦ ، وأبي السعود ٥/ ٤١ .

(٤) انظر : في العين (جدّ) ٦/ ٧ ، وتهذيب اللغة ١/ ٥٥٥ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٣٩٢ ، واللسان (جدد) ١/ ٥٦٢ .

(٥) البيت للنابغة الذبياني .

(٦) وعجزه :

عفَتْ روضةُ الأجداد منها فَيثْقُبُ

ديوان النابغة الذبياني ١٤٣ ، وورد في معجم البلدان ٥/ ٤٣١ ، والتاج (ثقب) ١/ ٣٣٨ . (الرسم) : هو الأثر ، (عفت) : محت ، (يثقب) أي الريح تخرقه فتعفوا آيه ؛ أي تمحو آثاره ، وقيل : (يثقُبُ) اسم موضع بالبادية ، والبيت من قصيدة قالها يصف حوادث الدهر وصروفه في اهله ، يقول : ما بالك تحاذر المرور بديار سعاد بعد أن خرّقتها الريح وعفت آثارها .

«أراد بالجديد المقطوع الأثر لدروسه»[١] ، وفي ذكر الجديد في الآية دليل على أنه[٢] ذلك الخلق الذي يأتي بهم جديداً هم أفضل من الأول وأطوع لله ، كما قال المفسرون[٣] ؛ لأنهم لو كانوا كالأول في العصيان لم يكن فائدة في إذهابهم والإتيان بغيرهم .

٢٠. قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لا يعز عليه شيء يريده»[٤] .

قال الكسائي : «ليس يعز على الله أن يميتكم ويأتي بغيركم»[٥] .

وقال أهل المعاني : أي لا يمتنع على مَنْ قَدَر على خَلْق السموات والأرض أن يذهبكم ويأتي بخلق سِواكم[٦] ، ومضى الكلام في معنى العزيز ، ومعناه هاهنا : الممتنع بقوته .

٢١. قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ برز معناه في اللغة : ظهر بعد الخفاء ، ومنه يقال للمكان الواسع البَرازُ ؛ لظهوره[٧] ، وقيل في قوله : ﴿وَتَرَى

(١) لم أقف عليه .

(٢) هكذا في النسخ جميعها : (أنه) ، والأظهر : (أن) .

(٣) ورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٤ ، والثعلبي ٧/ ١٤٩ب ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٣ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٤ ، والخازن ٣/ ٧٤ ، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥٢٠ .

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٦ بنصه .

(٥) لم أقف عليه منسوباً إلى الكسائي ، وأورده المؤلف بنصه ونسبه للكلبي في الوسيط ١/ ٣١٦ .

(٦) لم أقف عليه في كتب المعاني المتوفرة ، وورد نحوه في تفسير الطبري ١٣/ ١٩٩ ، والطوسي ٦/ ٢٨٧ ، وابن عطية ٨/ ٢٢٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٦ ، والخازن ٣/ ٧٥ ، وابن كثير ٢/ ٥٨٠ .

(٧) انظر : العين (برز) ٧/ ٣٦٤ ، وتهذيب اللغة ١/ ٣١٠ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢١٨ ، واللسان ١/ ٢٥٥ ، والتاج ٨/ ٩ .

﴿ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف :٤٧] أي ظاهرة بلا جبل ولا تل يستر ما وراءه[١] ، وامرأة بَرْزَةٌ ، إذا كانت تظهر للنـــاس[٢] ، وقد جاء برز بمعنى أبْرَزَ في قول لبيد :

النَّاطِقُ الْـمَبْروزُ وَالْمَخْتُومُ[٣]

قال ابن هانئ[٤] : «يقال : بَرزته بـــرزاً ، بمعنى[٥] أبْرزْتُه برْزاً[٦] ، ويقال : قد بَرَزَ فلان على أقرانه ، إذا فاقهم وســـبقهم ، وأصله في الخيل ؛ إذا سبق أحدها قيل قد بَرَّز عليها[٧] ، كأنه خرج من غمارها فظهر» .

قال ابن عباس في قوله : ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ «يريد : في البعث يوم القيامة»[٨] .

---

(١) انظر : التهذيب (برز) ١/ ٣١٠ ، واللسان ١/ ٢٥٥ ، والتاج ٨/ ٩ .

(٢) المصادر السابقة نفسها .

(٣) وصدره :

أو مُذْهَبٌ جَدَدٌ على ألواحهن

شرح ديـــوان لبيد ١١٩ ، وورد (برز) في العين ٧/ ٣٦٤ ، وتهذيـــب اللغة ١/ ٣١٠ ، ومقاييس اللغة ١/ ٢١٨ ، واللسان ١/ ٢٥٥ ، والتاج ٨/ ٩ ، ورواية غير الديوان : (ألوحة) . و(مُذْهب) اللوح عليه ذهب ، (الجدد) جمع جُدَّة ، وهـــي الطرائق ، (الناطق) الكتاب ، (المـــبرز) الظاهر ، وقيل : المكتوب والمنشور ، (المختوم) غير الظاهر ، وقيل : الذي لم ينشر . قال أبو الحسن : «هو لوح ضمت إليه ألواح من جوانبه ، كانوا يضعون عليه الكتب تعظيماً للملك ، لا تمســـه إلا يد الملك ، يأخذ ما شاء ويترك ما شاء» .

(٤) عبدالله بن محمد بن هانئ ، أبو عبدالرحمن النحويّ النيسابوري ، صاحب الأخفش ، كان عارفاً بعلم الأدب ، بصـــيراً بالنحو ، له كتاب كبير في نوادر العرب وغرائب ألفاظها ، وفي المعاني والأمثال ، توفي سنة ٢٣٦هـ . انظر : مقدمة تهذيب اللغة ١/ ٤٤ ، وإنباه الرواة ٢/ ١٣١ ، والبغية ٢/ ٦١ .

(٥) في (أ) و(د) : (برز المعنى) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الأنسب للسياق .

(٦) ورد في تهذيـــب اللغة (برز) ١/ ٣١٠ وعبارتـــه ، «قال ابن هانئ : أبرزتُ الكتـــاب : أخرجته ، فهو مَبْروز» .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (برز) ١/ ٣١٠ بنحوه .

(٨) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٦ بنحوه .

قال المفسرون : خرجوا من قبورهم[١] . وورد هذا بلفظ المضي وإن كان معناه الاستقبال ، لتحقق كونه[٢] كما ذكرنا في قوله : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف :٥٠] ، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف :٤٤] ؛ لأنه أصدَق وقوعَه ؛ كأنه قد وقع وأتى ، ومعنى ﴿لِلَّهِ﴾ اللام هاهنا لام أجل ، وتأويله : لأجل أمر الله إيّاهم بالبروز[٣] .

وقال أبو إسحاق : «أي جمعهم الله في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع»[٤] ، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ وهم الأتباع ، ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾ قال ابن عباس : «يريد الأتباع لأكابرهم الذين استكبروا عن عبادة الله»[٥] ، ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ أي في الدنيا ﴿لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ ، قال الفرَّاء وأبو عبيدة وجميع أهل العربية : «التَّبَعُ جمع تابع مثل : خادم وخَدَم ، وغائب وغَيَب ، ونافر ونَفَر ، وحارس وحَرَس ، وراصد ورَصَد»[٦] .

قال الزَّجَّاج : «وجائز أن يكون مَصْدراً سُمِّي به ، أي كنا ذوي تبع»[٧] .

---

(١) ورد في تفسير الطبري ١٣/ ١٩٩ بنحوه ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٢ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٤ ، بنصه ، والثعلبي ٧/ ١٤٩ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٢/ ٣٤٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٧ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٥ ، والخازن ٣/ ٧٥ .

(٢) انظر : الزمخشري ٢/ ٢٩٨ ، والرازي ١٩/ ١٠٧ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥٦ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٥٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ بنصه .

(٥) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٦ .

(٦) مجاز القرآن ١/ ٣٣٩ ، مختصراً ، ولم أجده في معاني القرآن للفرَّاء ، ، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٤٩ب .
وانظر : المحكم (تبع) ٢/ ٤٢ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٢٩٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٠٨ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥٧ ، واللسان (تبع) ١/ ٤١٦ ، والدر المصون ٧/ ٨٥ ، والتاج (تبع) ١١/ ٣٧ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ بنصه ، وانظر : الفريد في الإعراب ٣/ ١٥٧ .

﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ (قال ابن عباس : «فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله»)[1] ، ﴿قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ يريدون أنهم إنما دعوهم إلى الضلال ؛ لأن الله تعالى أضلهم ولم يهدهم ، فدعوا أتباعهم إلى ما كانوا عليه من الضلال ، ولو هداهم الله لدعوهم إلى الهدى ، هذا معنى قول ابن عباس : «لو أرشدنا الله لأرشدناكم»[2] .

وقوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ ﴾ إلى آخره ، قال الزَّجَّاج : «﴿ سَوَآءٌ ﴾ ابتداء ، و﴿ أَجَزِعْنَآ ﴾ في موضع الخبر»[3] ، والكلام في هذا قد سبق في قوله : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ [البقرة :٦] ، وذكرنا معنى المحيص في قوله : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء :١٢١] .

٢٢. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ الآية . قال المفسرون : إذا استقر أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار ، اجتمع أهل النار باللائمة على إبليس لعنه الله ، فيقوم في ما بينهم خطيباً ويقول ما أخبر الله تعالى

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٦ بنصه غير منسوب ، وما بين القوسين ساقط من (د) .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٠٩ بنصه ، وورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٦ ، وتفسيره الوجيز ١/ ٥٨١ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٦ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ بنصه .

بقولـــه : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ الآية .[١] قال أبو إســـحاق : «ذكر الله أمر إبليس وما يقوله في القيامة تحذيراً من إضلاله وإغوائه»[٢] .

وقولـــه تعالى : ﴿ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ قال ابـــن عباس : «يريد حين قضى الله بين العباد ؛ فصار أهل الجنَّة إلى منازلهم وكرامتهم ، وأمَرَ بأهل جهنَّم إلى العذاب»[٣] ، وقال الضحاك : «فُرِغ من الأمر»[٤] ، وهو معنى قول ابن عباس .

---

(١) ورد في تفســير مقاتــل ١/ ١٩٢ب بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٠ـ٢٠١ بنحوه عن الشــعبي والحســن والقرظي ، وورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٤ بنحوه عن الحسن ، والماوردي ٣/ ١٣٠ ، مختصراً عن الحسن ، والثعلبي ٧/ ١٥٠أ بنحوه عن مقاتل ، وأورده الســيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٤١ ، وزاد نســبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحســن ، وأخرجه الطــبري ١٣/ ٢٠١ مرفوعاً بمعناه عــن عقبة بن عامر ضمن حديث الشــفاعة مختصراً ، وأخرجــه الطبراني في الكبير ١٧/ ٣٢٠ ، من طريق عقبة بن عامــر بمعناه وأورده الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٧٦ وقال : «وفيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف» ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٤٠ ، وزاد نســبته إلى ابن المبارك في الزهد ، ولم أجده وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عســاكر بســند ضعيف عن عقبة ، وحكم عليه شاكر في تحقيق الطبري بالضعف ، وقال : «وهذا خبر ضعيف الإسناد لا يقوم» . وعلى هذا فدعوى قيام إبليس خطيباً في اهــل النار على منبر من نار لا تصح لكونها موقوفة على الحسن والشعبي والقرظي ، ولا يقبل قولهم المجرد في مثل هذه القضية الغيبية ، والطريق الموصــول الذي فيه إشــارة لهذه الدعوى ضعيــفٌ لا تقوم به الحجة ، فالله أعلــم بكيفية هذا الحوار والنقاش بين إبليس واهــل النار .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ بنصه .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٧١ بنحوه ، وورد بنحوه غير منســوب في الغريب لابن قتيبة ٢٣٦ ، وتفســير الطبري ١٣/ ٢٠٠ ، والســمرقندي ٢/ ٢٠٤ ، والثعلبــي ٧/ ١٥٠أ ، وابن عطية ٨/ ٢٢٦ ، والفخر الرازي ١٩/ ١١٠ .

(٤) لم أقف عليه .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ قال مقاتل : «يعني كون هذا اليوم فَصَدَقكم[١] وعْده ، ووعدتكم أنه غير كائن فأخلفتكم»[٢] ، وقال أبو إسحاق : «أي وعد من أطاعه الجنّة ووعد من عصاه النار ، ووعدتكم خلاف ذلك»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ هو من باب إضافة الشيء إلى نَعْته كقوله : ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق :٩] ، ومسجد الجامع ، على قول الكوفيين ، والمعنى : وعدكم الوعدَ الحقَّ[٤] ، وعلى مذهب البصريين يكون التقدير : وعْدَ اليوم الحقِّ ، أو الأمر الحق[٥] ، أو يكون التقدير : وعدكم الحق ثم ذكر المصدر تأكيداً وفيه إضمار ؛ لأن

---

(١) في (د) : (فصدَّكم) .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ١٩٢ب ، بتصرف يسير .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ بنصه .

(٤) الكوفيون يجوِّزون إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، وحجتهم أن ذلك ورد كثيراً في كتاب الله وكلام العرب ، وقد قرّر هذه المسألة الفرَّاء في عدة أماكن من معانيه ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [يوسف :١٠٩] فأضيفت الدار إلى الآخرة وهي الآخرة ، وقوله : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة :٩٥] ، والحق هو اليقين . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٣٠ ، ٢/ ٥٥ ، ٣/ ٧٦ . وراجع هذه المسألة في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٧ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٣١٩ ، والإنصاف ٣٥٢ ، والبيان في غريب الإعراب ٢/ ٤٥ ، ٣٨٥ ، ٥٢٥ ، والبسيط شرح جمل الزَّجَّاجي ٢/ ١٠٨٦ ، والدر المصون ٤/ ٦٠٠ ، وهمع الهوامع ٤/ ٢٧٦ .

(٥) ذهب البصريون إلى منع إضافة الموصوف إلى صفته ؛ بحجة أن الإضافة إنما يراد بها التعريف والتخصيص ، والشيء لا يتعرف بنفسه ؛ لأنه لو كان فيه تعريف لكان مستغنياً عن الإضافة ، وإن لم يكن فيه تعريف كان بإضافته إلى اسمه أبعد من التعريف ، وتأولوا شواهد الكوفيين وأزالوا ما يوهم إضافة الموصوف إلى صفته ، بحمله على حذف المضاف إليه وإقامة صفته مقامه ، وعليه فتقدير قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ ؛ أي حق الأمر اليقين ، وقوله : ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ تقديره : ولدارُ الساعةِ الآخرةِ . انظر : الأصول في النحو ٢/ ٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٤٧ ، والإيضاح العضدي ٢٨٣ ، والخصائص ٣/ ٢٤ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٣١٩ ، ٣٥٥ ، ٤٩٠ ، والإنصاف ٣٥٢ ، والبيان في غريب الإعراب ٢/ ٤٥ ، ٣٨٥ ، ٥٢٥ وشرح المفصل ٣/ ١٠ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٣٥٣ ، والدر المصون ٤/ ٦٠٠ ، ويترجح في هذه المسألة قول الكوفيين ؛ لصراحة أدلتهم =

تلخيصه : وعدكم وعد الحق فصدقكم ، وحُذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد والوفاء به ، ولأنه ذكر في وعد الشيطان الإخلافُ ، فدل ذلك على الصدق في وعد الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ الوعد يقتضي مفعولاً ثانياً ، وحُذف هاهنا للعلم به والتقدير : ووعدتكم أن لا جنّة ولا نار ولا حشر ولا حساب فأخلفتكم .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ قال ابن عباس : «يريد من حجة أحتج بها عليكم ؛ أي بما أظهرت لكم حجة»[1] ، ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ هذا من الاستثناء المنقطع ؛ أي لكن دعوتكم ﴿ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾[2] قال : يريد فصدقتموني وقبلتم مقالتي ، وقال أبو إسحاق : «أي أغويتكم وأضللتكم فاتبعتموني»[3] ، ﴿ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ حيث أجبتموني وطاوعتموني من غير

= التي ذكروها ولم تفتقر إلى التأويل الذي ذهب إليه البصريون . وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل .

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٧١ ، بمعناه ، وورد بمعناه غير منسوب في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٠أ ، والبغوي ٤/ ٣٤٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٧ ، وتفسير القرطبي ١٩/ ٣٥٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٨١ .

(٢) هذا ما ذهب إليه معظم المفسرين ؛ أن الاستثناء منقطع ؛ لأن الدعاء ليس من جنس السلطان . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٠٠ ، والثعلبي ٧/ ١٥٠أ ، والبغوي ٤/ ٣٤٥ ، وابن عطية ٨/ ٢٢٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٧ ، والفخر الرازي ١٩/ ١١١ ، والإملاء ٢/ ٨٦ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥٧ ، و تفسير القرطبي ٩/ ٣٥٦ ، وأبي حيان ٥/ ٤١٨ ، والدر المصون ٧/ ٨٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٨ بنصه .

سلطان ولا برهان ، قال أهل المعاني : ولَوْم النفس يصح على الإساءة كما يصح حمدها على الإحسان[١] ، كما قال[٢] :

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْها غِشَاوَةٌ

فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومُها[٣]

وقوله تعالى : ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ قال ابن عباس : «يريد بمغيثكم ولا منقذكم»[٤] وهو قول الجميع[٥] .

وقال ابن الأعرابي : «المصارخ[٦] المُسْتَغيث ، والمُصْرِخُ المُغِيثُ»[٧] ، يقال : صرخ فلان ، إذا استغاث وقال : واغوْثاه ، وأصرختُه : أغثته ، وقال

---

(١) لم أقف على هذا القول في كتب المعاني ولا كتب اللغة ، وهي قضية بدهية ظاهرة لا خلاف حولها ، ولا أدري ما وجه الغرابة في لوم النفس على الإساءة حتى يستشهد على ذلك بالبيت .

(٢) القائل هو الحارث بن خالد المخزومي ، أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين . الأغاني ٣/ ٣٠٨ .

(٣) ورد في مجاز القرآن ١/ ٣١ ، والعقد الفريد ١/ ٣٠٣ ، والأغاني ٣/ ٣١٤ ، وتفسير القرطبي ٩/ ١٩١ ، واللسان (غشا) ٦/ ٣٢٦١ ، والدر المصون ١/ ١١٥ ، ورواية المجاز والدر : «تبعْتُك» بدل (صَحِبْتُك) .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١١٤ بنصه ، وتنوير المقباس ٢٧١ بنصه .

(٥) ورد بلفظه في مجاز القرآن ١/ ٣٣٩ ، وغريب القرآن وتفسيره لليزيدي ١٩٧ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٠٠ ، وجمهرة اللغة ١/ ٥٨٦ ، وتهذيب اللغة (صرخ) ٤/ ١٩٩٩ ، وتفسير المشكل لمكي ٢١٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٥ ، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ٢٧٩ ، وتفسير أبي حيان :٥/ ٤١٩ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ٣٨٢ .

(٦) هكذا في النسخ جميعها ، ولم أقف على هذا التصريف في المصادر اللغوية التي رجعت اليها ، والذي ذكره المصدر ومصادر اللغة (الصَّارخ) فلعله من تصحيف النساخ . انظر : تهذيب اللغة (صرخ) ٢/ ١٩٩٩ ، والمحيط ٤/ ١٤٥ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٣٤٨ ، والصحاح ١/ ٤٢٦ ، واللسان ٤/ ٢٤٢٦ ، والتاج ٤/ ٢٨٧ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (صرخ) ٢/ ١٩٩٩ بنصه ونسبه الأزهري لأبي الهيثم .

الفرَّاء : «أصرخْتُ الرجل ، إذا أغثته إصْراخاً ، وقد صَرَخَ الصَّارخ يَصْرَخُ ، ويَصْرُخُ لغة قليلة ، صَرْخاً وصُرَاخاً»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ القراءة الصحيحة فتح الياء[٢] وهو الأصل[٣] .

قال الزَّجَّاج : «وذلك أن [ياء][٤] الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حُرِّكتْ إلى الفتح ؛ نحو غلاميَ ، وذلك أن الاسم المضمر لمَّا كان على حرف واحد وقد منع الإعراب ، حرِّك بأخف الحركات[٥] ، ويجوز إسكانها[٦] ؛ لثقل[٧] الياء التي قبلها كسرة[٨] ، وإذا كان قبل الياء ساكن حرِّكت إلى الفتح لا غير[٩] ، لأن

---

(١) لم أقف عليه ، والظاهر أنه من كتابه المصادر المفقود .

(٢) هي قراءة الجمهور ماعدا حمزة ، ولو وصفها بقراءة الأكثرين لكان أحسن ؛ لأن وصفه لها بالصحة يوهم تبنِّيه لدعوى بعض النحويين في تضعيف قراءة حمزة ، مع أنه رد عليهم في آخر المسألة . انظر : السبعة ٣٦٢ ، وإعراب القراءات وعللها ١/ ٣٣٥ ، والحجة في القراءات ٢٠٣ ، وعلل القراءات ١/ ٢٨٨ ، والحجة للقراء ٥/ ٢٨ ، والمبسوط في القراءات ٢١٧ ، وحجة القراءات ٣٧٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٦ ، وتلخيص العبارات ١٠٨ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧١٠ ، والإتحاف ٢٧٢ .

(٣) تخصيصه قراءة الجمهور دون حمزة بهذا الوصف غير جيد أيضاً ؛ لأنه يشعر بالتقليل من شأن قراءة حمزة وهي قراءة سبعية لا فرق بينها وبين القراءات الأخرى ، ولأن الأصل في القراءة الرواية وليس القياس ، فهي سنة متبعة وليس قواعد نحوية مقنَّنَه ، ويقصد بالأصل ؛ أي عند النحويين كما صرّح بذلك الأزهري في شرح التصريح على التوضيح ٢/ ٦٠ .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من المصدر ليستقيم الكلام .

(٥) وهي الفتحة .

(٦) أي الياء .

(٧) في النسخ جميعها (لنقل) ، والتصويب من المصدر .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٩ ، نقله بتصرف يسير .

(٩) وهذه حجتهم النحوية في رد قراءة حمزة ؛ حيث قالوا إن أصل (مصرخيّ) مصرخين جمع مصرخ ، أضيف لياء المتكلم فصارت (بمُصْرِخِيْنِي) وحذفت النون للإضافة فاجتمعت ياء الجمع ـ وهي ساكنة ـ وياء الإضافة ، فلو سكناها لاجتمع ساكنان بمصرخِيْيْ فتعين الفتح ، فلما اجتمع مِثْلان : =

أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها ، فإذا كان قبلها ساكن صارت حركتُها لازمةً لالتقاء الساكنين ؛ نحو : ﴿هُدَاىَ﴾ [طه :١٢٣] ، و﴿وَمَحْيَاىَ﴾ [الأنعام :١٦٢] ، و﴿عَصَاىَ﴾ [طه :١٨] ، ونحو هذا قال الفرَّاء[١] ، وقراءة حمزة (بِمُصْرِخِيِّ) بكسر الياء[٢] وهو[٣] قراءة الأعمش[٤] ويحيى بن وثاب[٥] .

= الأول ساكن ، والثاني متحرك وجب الإدغام ، فصارت ياءً مفتوحةً مشددةً .
انظر : إعراب القراءات وعللها :١/ ٣٣٥ ، وحجة القراءات ٣٧٧ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ١/ ٤٤٨ ، والإملاء ٢/ ٦٨ ، وسراج القارئ ٢٦٥ .

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٥ .

(٢) انظر : السبعة ٣٦٢ ، وإعراب القراءات وعللها ١/ ٣٣٥ ، وعلل القراءات :١/ ٢٨٨ ، والحجة للقراء ٥/ ٢٨ ، وحجة القراءات ٣٧٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٢٦ ، وتلخيص العبارات ١٠٨ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٠٩ ، والإتحاف ٢٧٢ .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، والسياق يقتضي أن تكون (وهي) لأن الضمير يعود على القراءة ، وهي مؤنثة .

(٤) انظر : علل القراءات ١/ ٢٨٩ ، والحجة للقراء ٥/ ٢٩ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧١٠ ، وإبراز المعاني ٣/ ٢٩٣ ، وسراج القارئ ٢٦٥ ، والنشر ٢/ ٢٩٩ ، والإتحاف ٢٧٢ .

(٥) انظر : الحجة للقراء ٥/ ٢٩ ، وإبراز المعاني ٣/ ٢٩٣ ، وسراج القارئ ٢٦٥ ، والنشر ٢/ ٢٩٩ ، ويحيى بن وثاب هو الإمام القدوة المقرئ ، شيخ القراء بالكوفة في زمانه ، تابعي ثقة حدّث عن ابن عباس وأبي هريرة ، أخذ القراءة عن علقمة ومسروق ، وأخذ عنه الأعمش ، كان حسن الصوت بالقراءة ، مات ١٠٣هـ .
انظر : غاية النهاية ٢/ ٣٨٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٠ ، وتقريب التهذيب ٥٩٨ ٧٦٦٤ .

قال الفرَّاء : «ولعلها من وهْم القُرَّاء[١] فإنه قلَّ من سَلم منهم من الوهْم ، ولعله ظن أن الباءَ[٢] في ﴿ بِمُصْرِخِيَّ ﴾ خافضةٌ للحرف كله ، والياء من المتكلم خارجةٌ من ذلك ، ومما يرى أنهم أوهموا فيه : ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ [النساء :١١٥] ظنُّوا -والله أعلم- أن الجزم في الهاء ، والهاءُ في موضع نصب ، وقد انجزم الفعل قبلها بسقوط الياء منه» ، قال : «وسمعت بعض العرب[٣] ينشد :

قُلْتُ[٤] لَهَا هَلْ لَكِ يَا تَا فِيِّ قالَتْ لَنا ما أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ[٥]

---

(١) هذه اللفظة من أخف الألفاظ انتقاداً لهذه القراءة السبعية ، وكذلك الأسلوب ؛ حيث عزا الخطأ في ما يظن أنه خطأ إلى القُراء لا القراءة ، بخلاف بقية المنتقدين للقراءة خاصة البصريين حيث بالغوا في انتقاد القراءة ووصفوها بأقذع الصفات ؛ كالمنكرة ، والرديئة ، والمرذولة ، والضعيفة ، والمكروهة ، والشاذة ، وأنها لحن . . انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٩٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٩ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٣ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٠٠ ، والإملاء ٢/ ٦٨ ، وإبراز المعاني ٣/ ٢٩٤ ، وحاشية ياسين على شرح التصريح ٢/ ٦٠ .

(٢) في (ش) و(ع) : (الياء) والمثبت موافق للمصدر .

(٣) هو الأغلب العجلي ، تأتي ترجمته في الصفحة التالية ، وكلمة (العرب) ساقطة من (د) .

(٤) في المصدر (قال) وهو الموافق لرواية المصادر جميعها التي وقفت عليها ما عدا علل القراءات :١/ ٢٨٨ .

(٥) ورد البيت منسوباً للأغلب في حاشية ياسين على شرح التصريح ٢/ ٦٠ ، والخزانة ٤/ ٤٣٣ ، وورد غير منسوب في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٦ ، والحجة في القراءات ٢٠٣ ، والمحتسب ٢/ ٤٩ (صدره) ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٥٩ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤١٩ ، (يا) حرف نداء ، (تا) منادى ؛ وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث ، (فيِّ) ضمير نصب متكلم أُشبعت كسرته فنشأ عنها ياء نحو منزلي من منزل والمعنى : أن رجلاً قال لامرأة تقدم ذكرها يا هذه المرأة ، هل لك رغبة فيَّ ؟ قالت له : لست بالمرضي فيكون لي رغبة فيك .

فخفــض الياء من (فيِّ) فإن يك ذلك صحيحاً ، فهو مما يلتقي من الســاكنين فيُخفض الآخِــرُ منهما ، وإن كان له أصل في الفتح ، ألا ترى أنهم يقولون : لم أره منذ[١] اليوم ، والرفع في الذال هي[٢] الوجه[٣] ، والخفض جائز ، فكذلك الياء من (مصرخيِّ) خفضت ولها أصل في النصب» ، انتهى كلامه[٤] . وقال أبو إسحاق : «هذه القراءة عند جميع النحويين ردية مرذولــة لا وجه لها إلا وُجَيْه[٥] ضعيف ، وهو ما أجازه الفرَّاء من الكسر على أصل التقاء الساكنين» ، وأنشد :

قالَ لَهَــا هَــلْ لَكِ يــا تــا فيِّ قالَتْ لَــهُ ما أَنْــتَ بِالْــمَرْضِيِّ

وهذا الشعر مما لا يُلتفت إليه ، فليس يُعرف قائل هذا الشعر من العرب[٦] ، ولا هو مما يحتج به[٧] في كتاب الله»[٨] .

---

(١) في المصدر المنقول عنه (مُذُ) .

(٢) الأولى (هو) لأنه يعود على مذكر ، وكذلك هو في المصدر .

(٣) لأنهــا مبنية على الضم . اللمع في العربية ١٣١ ، وقد اعترض الســمين على الفرَّاء في استشــهاده على المســألة بهذا المثال لاختلافهما ؛حيث لم يتــوال الكسر في المثال بخلاف القراءة المستشــهد لها . الدر المصون ٧/ ٩٤ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٥ ، نقل طويل تصرف فيه .

(٥) هكذا وردت مصغرة في النسخ جميعها مع أنها في المصدر مكبرة (وجه) ، فلعل لذلك دلالة إن كان من فعل الواحدي لا النُسَّاخ ، وهو المبالغة في تضعيف هذا الوجه الذي يُحتج به للقراءة من جهة النحو .

(٦) بل قد عُرف قائله ، هو الأغلب العجلي ، ولم يكن نكرة بل هو علَم في عدة ميادين ؛ فقد عدَّه ابن الأثير وابن حجر في الصحابة ، ومن شــهداء الإسلام في نهاوند . انظر : أســد الغابة ١/ ١٢٦ ، والإصابة ١/ ٢٢٥ وعــدَّه ابن قتيبة أرجزَ الرُجّاز ؛ لأنه أول من شــبّه الرجز بالقصيــد وأطاله ، وقبله بيتان أو ثلاثة ، انظر : الشــعر والشــعراء ٤٠٧ ، بل لقد بلغ من شــهرته أن ينتســب إليه المشهورون ، يقول العجّاج :

إني أنا الأغلب أضْحَى قد نُشر المصدر السابق . وأكد أبو شامة نسبة البيت للعجلي بأنه راهـ في كتابه . انظر : إبراز المعاني ٣/ ٢٩٥ ، فواعجباً من دعوى الزَّجَّاج في استجهال هذا العَلَم .

(٧) بلى هو مما يحتج به لتعضيد ثبوت قراءة متواترة تعرضت للإنكار .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٩ ، نقله بتصرف .

قال أبو علي : «زعم قطرب أن هذا لغة في بني يربوع[١] ؛ يزيدون على ياء (الإضافة ياء)»[٢] وأنشد :

ماضٍ إذا ما هَمَّ بِالْمُضِيِّ[٣] قالَ لَهَا هَلْ لَكِ يا تا فِيِّ

قال : «ووجه ذلك من القياس أن الياء ليست تَخْلُو من أن تكون في موضع نصب أو جر ، فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما ، وكالكاف في : أكبر منك[٤] ، وهذا لك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة[٥] في قولك : هذا الشيء لَهُو ، وضَرَبَهُو ، ولحق الكاف أيضاً الزيادة[٦] في قول من قال : أعْطيْتُكاه وأعطيْتُكِيه ، في ما حكاه سيبويه[٧] وهما أختا الياء ، وكما لحقت التاء الزيادة في نحو ما أنشد[٨] :

رَمَيْتِيهِ فَأَصْمَيْتِ وَمَا أَخْطَاتِ الرَّمْيَهْ»[٩]

---

(١) هم أبناء يربوع بن حنظلة بن مالك ، من العدنانية ، وبنوه : رياح ، وثعلبة ، والحارث ، وعمرو ، وصُبَير ، كانوا يُسمَّون الأحمال وبنوه : كُليب ، وغُدَانة ، والعَنْبر سُمُّوا العقداء ؛ لأنهم تعاقدوا على أخيهم رياح ، وصار الأحمال مع بني رياح . انظر : الاشتقاق ٢٢١ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٢٨ ، ٤٦٧ ، ونهاية الأرب ٣٩٨ .

(٢) ففي هذه اللغة ينطقون (فيَّ) هكذا (فِيِّ) الموضح في وجوه القراءات ٢/ ٧١٠ ، وما بين القوسين ساقط من (د) .

(٣) في النسخ جميعها (بالمرضي) والتصويب من المصدر .

(٤) في (أ) و(د) : (أكرمتك) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق للمصدر .

(٥) وهي الواو .

(٦) وهي الألف والياء .

(٧) الكتاب ٤/ ٢٠٠ ، وأمثلته مختلفة ؛ فقد مثَّل للمؤنث بـ(أُعْطِيكِيها وأُعْطِيكِيه) ، وللمذكر بـ(أُعْطِيكَاهُ وأُعْطِيكَاها) .

(٨) لم أقف على قائله ، ونسبه عبدالسلام هارون في فهرسته للخزانة ١٢/ ٢٨٠ للوليد بن يزيد ت١٢٦هـ .

(٩) ورد في الحجة للقراء ٤/ ٤١٦ ، ٥/ ٣٠ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤٩ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٦٠ ، وإبراز المعاني ٣/ ٢٩٧ ، والدر المصون ٧/ ٩٣ ، والخزانة ٥/ ٢٦٨ ، برواية (فأقصدتِ) بدل (فأصميْت) ولا يختلف المعنى ؛ لأن معنى الكلمتين واحد ، هو القتل ، والشاهد زيادة الياء في (رميتيه) ، والأصل (رميته) من دون ياء ؛ كما قيل (أقصدت) من دون ياء .

كذلك أُلحقوا الياء الزيادة من المدّ ، فقالوا : (فِيِّي) ثم حذفت الياءُ الزائدة على الياء[١] كما حذفت من الهاء في قوله[٢] :

وما لَهُ من مَجْدٍ تَلِيد[٣]

وكما حذفت الزيادة من الكاف ، في قول من قال : أَعْطيْتُكه وأَعطيتُكِه[٤] ، كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء كما حذفت من أختيها[٥] ، وأُقرَّت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة ، فبقيت الياء على ما كانت عليه من الكسرة[٦] ، فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه[٧] وإن كان غيرها أفشى منها ، وعضَّده من

(١) في (ش) و(ع) : (التاء) ، والمثبت منسجم مع السياق وموافق للمصدر .

(٢) القائل هو الأعشى (جاهلي) أدرك الإسلام ولم يسلم ، مات سنة ٧هـ .

(٣) والبيت بتمامه :

وما لـه من مجـد تلِيـدٍ ، ولا لَـهُ من الريح حظٌّ لا الجنوبُ ولا الصَّبَا

ديوانه ١٧٥ ، وروايته :

ومـا عنْده مجـدٌ تليـدٌ ولا لَـهُ من الريـح فضـلٌ لا الجنُـوبُ ولا الصَّبَا

وورد في الكتاب ١/ ٣٠ ، وشرح شواهد الإيضاح ٤٥٨ ، وورد بلا نسبة في المقتضب ١/ ٣٨ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٦٣٠ ، والإنصاف ٤٠٧ ، والشاهد في قوله : (وما له) حيث اختلس ضمة الهاء اختلاساً ولم يشبعها حتى تنشأ عنها واو ، لذلك فإن رواية الديوان ليس فيها الشاهد ؛ لأن الهاء في (عنده) مشبعة غير مختلسة . الانتصاف بهامش الإنصاف ٢/ ٥١٦ .

(٤) في النسخ جميعها (أعطيتكيه) ، والمثبت مصوب من المصدر وبه يستقيم الكلام .

(٥) أي الزيادة في الهاء والكاف في الأمثلة السابقة .

(٦) توضيح ذلك : أن اللفظة على لغة بني يربوع (مصرِخِيِّي) فحذفت الياءُ الثانية فأصبحت (مصرِخِيِّ) .

(٧) أي لغة بني يربوع .

القياس ما ذَكَرْنا ، لم[١] يجز لقائل أن يقول : إن القراءة بذلك لحن ؛ لاستقامة[٢] ذلك في السماع والقياس[٣] ، وما كان كذلك لا يكون لحناً[٤] .

قوله تعالى : ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ ما هاهنا بمعنى المصدر ؛ أي كفرت بإشراككم إيَّاي[٥] مع الله في الطاعة[٦] ، قال الزَّجَّاج : «إني كفرت بشرككم أيُّها التُّباع إيّاي بالله»[٧] وهذا معنى قول ابن عباس : «يريد : إني[٨] جحدت بما كنتم تطيعونني في الدنيا» ؛ وتلخيصه : جحدت أن أكون شريكاً لله في ما أشركتموني[٩] ، وقال الفرَّاء : «﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ هذا من قول إبليس ؛ يعني : كفرت بالله الذي أشركتموني به ، أي كفرت به من قبلكم فجعل (ما) في مذهب ما يؤدى عن الاسم»[١٠] ، وعلى هذا القول (ما) بمعنى (مَنْ) والقول هو الأول .

---

(١) في (د) : (مالم) .

(٢) هكذا في النسخ جميعها ، وفي المصدر (لاستفاضة) وهو أصوب لأن الاستفاضة من عوارض الرواية .

(٣) الأصل في القراءة الرواية والسماع لا القياس ؛ لأن القراءة سنة متَّبعة فإذا ثبتت الرواية ، لم تفتقر إلى قياس ولم يردها قياس ، يقول أبو عمرو الداني رحمه الله : «وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية ، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها» . النشر :١/ ١٠ .

(٤) الحجة للقراء ٥/ ٢٩ ، وهو نقل طويل من قوله : قال أبو علي ، تصرَّف فيه بالتقديم والتأخير والاختصار .

(٥) في (أ) و(د) : (آياتي) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٧ ، والفخر الرازي ١٩/ ١١٥ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٨ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٦١ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٠ ، نقله بنصه .

(٨) في النسخ جميعها (إن) والصواب ما أثبته ، وبه يستقيم الكلام .

(٩) لم أقف عليه . وورد تلخيصه بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٠أ ، والوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٩ ، والوجيز ١/ ٥٨١ .

(١٠) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٦ بنصه تقريباً .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد المشركين»[١] ، قال المفسرون : هم الذين وضعوا العبادة والطاعة في غير موضعها[٢] .

٢٣. قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ ذكرنا معنى التحية عند قوله : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ ﴾ [النساء :٨٦] ، قال ابن عباس : «يريد أن الله يُحيِّهم بالسلام من عنده ، وبعضهم يُحَيِّ بعضاً بالسلام»[٣] وعلى هذا قوله : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾ مصدر مضاف ، فإن جعلته مضافاً إلى الفاعل فهو تحية بعضهم بعضاً ، وإن جعلته مضافاً إلى المفعول فهو تحية الله إيّاهم والملائكة ، وقد ذكر ابن عباس الوجهين .

٢٤. قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا ﴾ ؛ أي بيَّن الله شِبْهاً ، ثم فسَّر ذلك المثل ، فقال : ﴿ كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾ قال ابن عباس : «يريد لا إله إلا الله»[٤] ، وهو قول عامة المفسرين[٥] .

---

(١) ورد قوله بنصه بلا نسبة في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣١٩ ، والوجيز ١/ ٥٨١ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٥٧ .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٠ب ، بنصه .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ١١ ، لكنه جعل التحية من الملائكة لا من الله ، وفي تنوير المقباس ٢٧١ ، قال : «يسلم بعضهم على بعض إذا تلاقوا» ، وخلاصة القول في التحية أنها ثلاثة أنواع : تحية الله لهم ، وتحية الملائكة لهم ، وتحية بعضهم لبعض ، ومن جعلها نوعين فقد جعل تحية الملائكة ضمن تحية الله ؛ أي إن الملائكة ينقلون إليهم تحية الله .
انظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٥ ، والثعلبي ٧/ ١٥٠ب ، والماوردي ٣/ ١٣١ ، والبغوي ٤/ ٣٤٦ ، والثعلبي ٤/ ١١ ، والخازن ٣/ ٧٦ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٥٠ ، وصديق خان ٦/ ٢٣ .

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٣ بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٢٧٣ (٢٠٦) بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٦ بنصه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٠١ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٢٠ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٥٩ ، وابن كثير ٢/ ٥٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ١٤٢ ، وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ورد بنصه في تفسير مقاتل ١/ ١٩٣أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٠٥ ، وهود الهواري ٢/ ٣٢٦ ، والثعلبي ٧/ ١٥٠ب ، وتفسير المشكل لمكي ٢١٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٦ ، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب ٢٧٩ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٢ .

وقوله تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد النخلة»[١] ، وهو قول أكثر أهل التأويل[٢] ، وأراد : كشجرة طيبة الثمرة ، فاستغنى عن ذكرها بدلالة الكلام عليها ، ﴿ أَصْلُهَا ﴾ أي أصل هذه الشجرة الطيبة ﴿ ثَابِتٌ ﴾ ، ﴿ وَفَرْعُهَا ﴾ : أعلاها ، قال : ﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

٢٥. ﴿ تُؤْتِيٓ ﴾ أي هذه الشجرة ، ﴿ أُكُلَهَا ﴾ : ثمرها وما يؤكل منها ، ﴿ كُلَّ حِينٍ ﴾ الحين : وقت من الزمان قلَّ أو كثُر ، طال أو قَصُر[٣] ، واختلفوا في المراد بالحين هاهنا ؛ فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٦ ، بلفظه من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٦ ، وانظر : تفسير الخازن ٣/ ٧٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٤٤ ، وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق ، وورد عن ابن عباس بأنها شجرة في الجنَّة . انظر : تفسير الثعلبي ٧/ ١٥١أ ، والبغوي ٤/ ٣٤٦ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦١ ، والخازن ٣/ ٧٧ ، وورد عنه كذلك : أنها المؤمن . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٠٤ ، والأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٧٣ (٢٠٧) ، وتفسير الخازن ٣/ ٧٧ ، وابن كثير ٢/ ٥٨٢ ، والدر المنثور ٤/ ١٤٢ ، وزاد نسبته لابن أبي حاتم . ولاخلاف بين هذه الأقوال ؛ لأن المقصود بالمثل المؤمن ، والنخلة مشبهة به ، وهو مشبَّه بها ، كما في صحيح البخاري (٢٢٠٩) في كتاب البيوع ، باب بيع الجُمَّار وأكله ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول ﷺ : «من الشجر شجرةٌ كالرجل المؤمن» ، فأردت أن أقول : هي النخلة ، فإذا أنا أحدثهم ، قال : هي النخلة ، وفي رواية له : «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مَثَلُ المسلم . .» (٦١) كتاب العلم ، قول المحدث حدثنا ، وأما كونها شجرة في الجنة غير معينة فلأن النخلة من أشرف الأشجار ، فهي أولى من ينطبق عليها الصفات المذكورة في الآية . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٤ ، والأمثال لابن القيم ٢٣٢ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٢ ، بلفظه عن أنس ، والطبري ١٣/ ٢٠٤ـ٢٠٦ ، بلفظه من عدة روايات عن أنس وابن مسعود ومسروق ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد ، وورد بلفظه في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٦ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٥ ، وهود الهواري ٢/ ٣٢٦ ، والثعلبي ٧/ ١٥٠ب ، والماوردي ٣/ ١٢٣ ، وتفسير المشكل ٢١٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٤٤ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والرامهرمزي .

(٣) انظر : مقاييس اللغة ٢/ ١٢٥ ، واللسان (حين) ٢/ ١٠٧٣ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٥٤٩ .

ستة أشهر»[١] ، وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والحسن قالوا : «ما بين صرامها[٢] إلى حملها ستة أشهر»[٣] .

وقال مجاهد وابن زيد : «كل سنة»[٤] ، وهو قول ابن عباس في رواية عكرمة ؛ قال : «هو ما (بين العام إلى العام)[٥] المقبل»[٦] ، وقال في رواية أبي ظَبيان[٧] : «كل حين : كل غدوة وعشية»[٨] ، وهو قول الربيع بن أنس[٩] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٨ بنصه من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٧ ، والسمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، والثعلبي ٧/ ١٥١ب ، انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٩ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٢٠ .

(٢) الصِّرام بكسر الصاد وفتحها : أوان نُضج الثمرة وجَنْيها . انظر : اللسان (صرم) ٤/ ٢٤٣٨ ، ومتن اللغة ٣/ ٤٤٩ .

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٨ بنصه عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير ، وأخرجه ١٣/ ٢٠٩ ، عن قتادة والحسن قالا : «ما بين الستة الأشهر والسبعة» .
وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥١ب بنصه عنهم ، والماوردي ٣/ ١٣٢ بمعناه عن الحسن ، والطوسي ٦/ ٢٩١ بنحوه عن سعيد والحسن .
وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٧ بنحوه عنهم .

(٤) تفسير مجاهد ١/ ٣٣٤ ، بلفظه ، أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٩ بنصه عنهما ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥١أ ، عنهما ، والماوردي ٣/ ١٣٢ عن مجاهد ، والطوسي ٦/ ٢٩١ عنهما .

(٥) ما بين القوسين ساقط من : (ش) و(ع) .

(٦) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٩ ، ٢١٠ بنصه عن عكرمة صحيحة ، وأورده في الدر المنثور ٤/ ١٤٤ عن عكرمة ، والظاهر تلقَّاه عنه . وورد بهذا الطريق في تفسير السمرقندي ٢/ ١٠٦ ، لكنه قال : «الحين : ما بين الثمرتين ؛ يعني سنة» . وورد تفسير الحين (بسنة) عن ابن عباس من طريق عطاء بن السائب صحيحة في تفسير الطبري ١٣/ ٢١٠ .

(٧) في النسخ جميعها : (ابن) والصحيح أبي ظبيان كما في تفسير الطبري وكتب التراجم .

(٨) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٧ بنصه بعدة روايات من هذه الطريق ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، والثعلبي ٧/ ١٥١ب ، والماوردي ٣/ ١٣٣ ، والطوسي ٦/ ٢٩١ .

(٩) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٩ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥١ب بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٧ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٦ .

وقال سعيد بن الـمُسيَّب : «كل حين يعني : شهرين ؛ لأن مدة إطعام النخلة شـــهران»[١] ، قال أهل التأويل وأهل المعاني : شبَّه الله تعالى الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في مَنْبِتها ، وشـــبَّه ارتفاع (عمله إلى الســـماء بارتفاع)[٢] فروع النخلة ، وشبَّه ما يكســـبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقـــت وزمان ، بما ينال من ثمرة النخلة في أوقات [السَّـــنة][٣] كلها ؛ من الرُّطب والتمر وما يجري مجراهما مما لا يعدم ولا ينقطع وجوده[٤] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٢١٠ بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، والثعلبي ٧/ ١٥١ب ، وانظر : تفســير البغوي ٤/ ٣٤٧ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٩ ، والفخــر الرازي ١٩/ ١٢٠ ، والدر المنثور ٤/ ١٤٥ ، وزاد نســبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي ، هذه الأقوال التي وردت في تفسير (الحين) تندرج تحت قاعدة اختلاف التنوع ، ولا تناقض بينها لأمرين : الأول : أن (الحين) يحتمل كل هذه المعاني في اللغة ؛ إذ يطلق على الوقت القليل والكثير .

والثاني : أن كل مفسر نظر في تفســيره من وجه يختلف عن الآخر : فمن فسره (بســنة) أشــار إلى أن النخلة لا تحمل في الســنة إلا مرة واحدة ، ومن فسره (بســتة أشهر) أشار إلى ما بين حملها وصرامها ، ومن فسره (بشهرين) أشار إلى مدة الجني في النخل ، ومن فسره (بالغدوة والعشية) أشار إلى أن ثمرتها تؤكل دائماً ؛ صيفاً وشــتاءً ، وقد رجح الطبري قول من فسره (بالغدوة والعشية) ؛ وذلك لكون الآية ضُربت مثلاً لعمل المؤمن وإخلاصه ورفع عمله إلى الله ، وهذا إنما يكون في كل يوم وليلة لا كل شهر أو سنة . انظر : تفســير الطبري ١٣/ ٢١٠ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٩ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٠ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من : (ش) و(ع) .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها الســياق ، كما في تفســيره الوسيط تحقيق ســيسي ١/ ٣٢١ ، والوجيز ١/ ٥٨٢ .

(٤) لم أقــف عليه في كتب المعاني المطبوعة ، وورد هذا المعنى مختصراً وبعبارات متقاربة في تفســير الطبري ١٣/ ٢١٠ ، والسمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، والماوردي ٣/ ١٣١ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٥٩ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦١ ، وابن كثير ٢/ ٥٨٢ .

وقال الزَّجَّـاج : «جعل الله مَثل المؤمن في نُطْقه بتوحيـده[١] ، والإيمان بنبيِّه واتِّباع شريعته الشجرة الطيبة ؛ فجعل نفع الإقامة على توحيده كنفع الشجرة التي لا ينقطع نفعُها وثمرها»[٢] ، وقال آخرون : إنما مَثَّلَ الله سبحانه الإيمان بالشجرة ؛ لأن الشجرة لا تستحق أن تسمَّى شجرة إلا بثلاثة أشياء : عرق راسخ ، وأصل قائم ، وفرع عال ، كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء : تصديق بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأبدان[٣] .

قال ابن الأنباري : «وكان غير مستنكر تشبيه الكلمة بالشجرة وهي من غير جنسها ، كما لا يُستَنكر تشبيه الناس بالأسد والأقمار والبحار ، وجنس الإنسان يخالف هذه الأجناس ، ومعروف من كلامهم : عبدالله الشمسَ طالعة ، وزيدٌ القمرَ منيراً ، وعمرو الأسدَ عادياً[٤] ، وبكر البحر زاخراً»[٥] .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ : «جميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهب إلى أن الحين اسم كالوقت ، يصلح لجميع الأزمان كلها ، طالت أم قصُرت ، والمعنى في ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ : أنها يُنتفع بها في كل وقت ، لا

(١) في (ش) و(ع) : (توحيده) ، من دون باء

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٠ ، ونقله بنصه .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، بتصرف يسير ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٧ ، والبقاعي ٤/ ١٨٥ ، وحاشية الصاوي على الجلالين ٢/ ٢٨٤ ، وتفسير الألوسي ١٣/ ٢١٦ ، وصديق خان ٧/ ١١٠ .

(٤) في (أ) و(د) : (عارياً) ، والمثبت من : (ش) و(ع) وهو الصحيح المتفق مع المعنى ، والظاهر أن الدال تصحفت إلى راء .

(٥) الزَّخَرُ : من خصائص البحر ، يقال : زَخَرَ يزْخَرُ زَخْراً وزُخوراً ، إذا جاش ماؤه وارتفعت أمواجه . انظر : تهذيب اللغة (زخر) ٢/ ١٥١٩ ، والمحيط في اللغة ٤/ ٢٧٥ .

ينقطع نفعها ألبتة» ، قال : «والدليل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة في صفة الحيَّة والملدوغ :

تَنَاذَرَها[١] الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمِّها تُطَلِّقُـه حِينـاً وَحِينـاً تُراجِعُ»[٢]

قال : «المعنى أن السـمَّ يخفُّ ألمه وقتاً ويعود وقتاً»[٣] ، فعلى هذا ، الاختيار : أن يكون المعنى ﴿ تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ ؛ أي كل وقت في جميع السنة ، وهو قول الضحاك ، قال : «كل ساعة ؛ ليلاً ونهاراً ، شتاءً وصيفاً ، تُؤكل في جميع الأوقات ، كذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الأوقات كلها»[٤] ، وقد قال ابن عباس : «يريد ستة أشهر طلعٌ رَخْصٌ[٥] وستة أشهر رُطبٌ رَطيبٌ»[٦] ، فبين أن الانتفاع بالنخلة دائم في جميع السنة .

---

(١) في النسـخ جمعيها (تبادرها) بالباء والـدال من المبادرة ، وهو تصحيـف ؛ إذ لا معنى للمبادرة هنا ، ويؤيده أن رواية الديوان وجميع المصـادر (تناذرها) من الإنذار ؛ وهو التخويف ، أي خوف بعضهم بعضاً بأن تلك الأفعى من خبثها لا تجيب راقياً .

(٢) البيت للنابغة الذبيـاني ، ديوانه ٥٤ ، وورد في المعاني الكبـير ٢/ ٦٦٣ ، والكامل للمبرِّد ٣/ ١٣٠ ، وجمهرة اللغة ٢/ ٩٢٢ ، وتهذيب اللغـة (حان) ١/ ٧١٤ ، الإيضاح العضدي ١/ ٢٠٣ ، والصحاح (نذر) ٢/ ٨٢٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٩ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٣٢ ، والمخصص ٩/ ٦٥ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٠ ، واللسـان (حين) ٢/ ١٠٧٤ ، والخزانة ٢/ ٤٥٩ . ومعنى (تطلّقه) : أي تفارقه وتخفى الأوجاع أحياناً ، وتارة تشـتد عليه ، وهكذا حال اللديـغ ، ورواية الديوان والكامل والخزانة :

تطلّقُه طوراً وطوراً تراجع

ولا فرق في المعنى ؛ لأن الطور كالحين ، لكن لا شاهد على هذه الرواية .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦١ بنصه ، وورد في تهذيب اللغة (حان) ١/ ٧١٤ بنصه .

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٠٨ بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٨ بنحوه ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥١ب بنصه .

وانظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٦٠ .

(٥) الرَّخْص : الشيء الناعم اللين . انظر : المحيط في اللغة (رخص) ٤/ ٢٤٥ .

(٦) أورده الواحدي بنصه غير منسوب في الوجيز ١/ ٥٨٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد أهل مكة»[١] ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ؛ لكي يتعظوا .

٢٦. قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ يعني : الشرك بالله في قول الجميع[٢] ، ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد الثوم»[٣] ، وروى مقاتل عن الضحاك عنه[٤] «قال : هي الكُشُوث»[٥] ، وقال أنس بن مالك : «هي الحنظل»[٦] . فكما أنها أخبث الأشجار ،

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢١ بنصه .

(٢) ورد بلفظه في تفسير مقاتل ١/ ١٩٣أ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٦ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، وهود الهواري ٢/ ٣٢٧ ، والثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، وتفسير المشكل ٢١٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨ ، والزمخشري ٢/ ٣٠١ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢١ ، بلفظه ، وانظر : غرائب التفسير ٥٧٩ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦١ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٢ ، والخازن ٣/ ٧٧ ، وورد عن ابن عباس أنه فسرها بقوله : «هذا مثل ضربه الله ، ولم تخلق هذه الشجرة على وجه الأرض» . أخرجه الطبري ١٣/ ٢١١ ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، والماوردي ٣/ ١٣٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٠ ، والقرطبي ٩/ ٣٦٢ ، والدر المنثور ٤/ ١٤٥ ، وزاد نسبته الى ابن أبي حاتم ، وتفسير الألوسي ١٣/ ٢١٥ .

(٤) أي ابن عباس .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢١ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٠ ، والخازن ٣/ ٧٧ ، والألوسي ١٣/ ٢١٥ . الكُشُوث : بالفتح وبالضم ، وبالفتح أفصح ، ويروى مقصوراً وممدوداً ؛ الكَشوثى والكَشوثاء ، قال الليث : «الكَشوث نبات مجتث لا أصل له ، وهو أصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره ، ويجعل في النبيذ» ، وفي معجم متن اللغة ، قال الشهابي : «هو جنس نباتات طفيلية مضرّة ، سُوقها صفر وشُقر ، خيطية طوال تلتف على حاضنتها وتنشب فيه زوائد ماصة تمص نسغه ، لا ورق لها ، ويسمى في مصر والشام : الهالوك ، يقول الشاعر :

هو الكشوث فلا أصلٌ ولا ورقٌ ولا نسيمٌ ولا ظلٌ ولا ثمرٌ»

انظر : تهذيب اللغة (كشث) ٤/ ٣١٤٦ ، والمحيط في اللغة ٦/ ١٦١ ، والصحاح ١/ ٢٩٠ ، واللسان ٧/ ٣٨٣٠٨ ، والتاج ، ومتن اللغة ٥/ ٦٨ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٢ ، بلفظه عن أنس ، والطبري :/ شاكر ١٦/ ٥٨٣ ، بلفظه عن أنس من عدة طرق ، وورد بلفظه في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٢٧ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٣٤ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٠ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦١ ، والخازن

فكذلك الشرك أخبث الكلمات ، وكما أنه لا ينتفع بها كذلك الشرك لا ينتفع صاحبه .

وقوله تعالى : ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ قال ابن عباس : «اقتلعت»[1] ، وقال السدّي : «انتزعت»[2] ، وقال الضحاك : «استؤصلت»[3] ، وقال الزَّجَّاج : «ومعنى ﴿ٱجۡتُثَّتۡ﴾ في اللغة : أخذت جُثَّتُها بكمالها»[4] .

وهذا قول الـمُؤَرِّج قال : «أخذت جثتها وهي نفسها»[5] .

= ٣/ ٧٧ ، والدر المنثور ١٣/ ١٤٦ وعزاه إلى ابن مردويه . والحنظل : معروف ؛ وهو نبات مُرّ الجنى ، واحدته حنظلة ، ويسمى : الشرْيُ . انظر : اللسان (حنظل) ٢/ ١٠٢٥ ، ومتن اللغة ٢/ ١٨٠ . هذه عدة أقوال في تعيين الشجرة الخبيثة ، والأرجح أنها شجرة غير معينة ، ومن عيَّنها فهو على سبيل التمثيل ، وضابطها الخبث ؛ وقد يكون خبثها لرائحتها ، أو للونها ، أو لهيئتها ، أو لطعمها ، أو لمضارها ، أو . . انظر : تفسير ابن الجوزي ٨/ ٢٣٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٢١ .

(١) انظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٦٢ ، بلفظه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، بلفظ : «اقتطعت» ، وورد بلا نسبة في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٢ ، والسمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، والبغوي ٤/ ٣٤٩ ، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ١٩٦ ، والدر المصون ٧/ ١٠٠ .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، بلفظه ، وورد بلفظه بلا نسبة في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٢ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، بلفظه ، وورد بلفظه غير منسوب في مجاز القرآن ١/ ٣٤٠ ، وغريب اليزيدي ١٩٧ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٧ ، وتفسير المشكل ٢١٤ ، وغرائب التفسير ١/ ٥٧٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦١ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (جثث) ١/ ٥٣٨ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٣٩٨ ، واللسان ١/ ٥٤٣ ، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٥٣ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٦٢ ، وصديق خان ٧/ ١١١ .

وقولــه تعالى : ﴿ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد ليس لها أصل تام ، فهي فوق الأرض لم ترسخ فيها ، ولم تضرب فيها بعرق ، كذلك الشرك بالله ليس له حجة ولا ثبات ولا شيء»[١] .

وقوله تعالى : ﴿ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ قال المفسرون : أي من أصل في الأرض[٢] ، والقرار مصدر سُمّي به الــمُسْتَقَر ، وهذه الأشجار التي ذُكرت في[٣] تفسير الشجرة الخبيثة ليس لها مستقر في الأرض يبقى على الأرض فنفى أن يكون لها قرار لَمَّا كانت تتقلَّع بأدنى شيء ، والكَشوث لا قرار له في الأرض بتَّة ، قال الزَّجَّاج : «المعنى أن ذكر الله بالتوحيد يبقى أبداً ، ويبقى نفعُه أبداً ، وأن الكفر والضلال لا ثبوت له»[٤] .

٢٧. قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ قال ابن عباس : «يريــد الذين صدّقوا محمداً ﷺ يثبتهم بالقــول الثابت وهو لا إله إلا الله»[٥] ، وهذا دليل عــلى أنه أراد بالكلمة الطيبــة كلمة الإخلاص ، لأنه بعدما شبهها بالشــجرة الطيبة التي لها أصل ثابت ، سمّاها القول الثابت .

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٢١٣ بنحوه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وورد في تفســيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٢ بنحوه ، وانظر : تفسير صديق خان ٧/ ١١٢ ، وورد هذا المعنى غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦١ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٢١ .

(٢) ورد في تفســير الطبري ١٣/ ٢١٣ بنصه ، والســمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، بلفظــه ، والماوردي ٣/ ١٣٥ ، بلفظه ، وانظر : غرائب التفســير ١/ ٥٧٩ ، وتفســير البغوي ٤/ ٣٤٩ ، وابــن الجوزي ٤/ ٣٦١ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٢ ، وصديق خان ٧/ ١١١ .

(٣) في جميع النسخ وردت (و) قبل (في) ، وهي زائدة جعلت السياق مضطرباً ، لذلك حذفت .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦١ بنصه .

(٥) انظر : تفســير القرطبي ٩/ ٣٦٢ بنحوه ، وورد بنصه بلا نســبة في تفســيره الوســيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٢ .

وقوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قال المفسرون : يثبتهم بـ (لا إله إلا الله) في الحياة الدنيا على الحق والتمسك بالعُرى[١] ، وإذا ثبتهم بها في الدنيا ثبتهم في الآخرة .

ومعنى ﴿ وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ : قال ابن عباس : «يريد في القبر»[٢] ، وهذا قول عامة المفسرين ؛ قالوا : إن هذه الآية وردت في فتنة القبر وسؤال الملكين ، وتلقين الله المؤمن كلمة الحق في القبر عند السؤال ، وتثبيته إياه بها على الحق[٣] .

وروى ذلك البراء بن عازب مرفوعاً ، أن النبيّ ﷺ قال في قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ قال : «حين يقال من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيّ محمد ﷺ»[٤] ، والباء في : ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ من صلة التثبيت ، على ما بيَّنا ، ويجوز أن تكون من صلة آمنوا ، على معنى : الذين آمنوا بـ (لا إله إلا الله) يثبتهم

---

(١) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٧ بنحوه ، وأخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٢ ، والطبري ١٣/ ٢١٧ بنحوه عن ابن طاوس عن أبيه ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٠ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٦ ، والثعلبي ٧/ ١٥٢ب ، والماوردي ٣/ ١٣٥ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٩ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦١ ، والخازن ٣/ ٧٨ .

(٢) أخرجه النسائي في تفسيره ١/ ٦٢٠ بنحوه من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، وانظر : تفسير صديق خان ٧/ ١١٣ .

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٢ بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٣/ ٢١٦ ، ٢١٧ بنحوه عن ابن مسعود والمسيب بن رافع والربيع وقتادة ومجاهد ، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٠ ، عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٣ب ، عن ابن عباس ، والماوردي ٣/ ١٣٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٤٩ ، وابن عطية ٨/ ٢٣٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦١ ، وابن جزي ٢/ ١٤١ .

(٤) أخرجه بنحوه عن البراء بن عازب ابن أبي شيبة في مصنفه : الجنائز/ القبر ٣/ ٥٦ ، والبخاري (٤٦٩٩) في كتاب التفسير ، باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ ، ومسلم (٢٨٦٦) في كتاب الجنة ونعيمها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، أبو داود (٤٧٥٠) في كتاب السنة ، والنسائي في تفسيره ١/ ٦١٩ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢١٤ .

على الحق في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، قال ابن عباس : «من دام على الشهادة في الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقِّنه إيّاها»[١] ، وإنما فسر الآخرة هاهنا بالقبر ؛ لأن الميت انقطع بالموت عن أحكام الدنيا وصار[٢] مجزياً بالحسنات والسيئات فدخل في أحكام الآخرة ، قاله أبو بكر بن الأنباري ، وقد أشار إلى هذا المعنى أبو إسحاق ؛ فقال : «﴿ وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ لأن هذا بعد وفاته»[٣] ؛ يريد هذا السؤال .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يعني : لا يُلقِّن[٤] المشركين [و][٥] الكافرين ، حتى إذا سئلوا في قبورهم قالوا : لا ندري ، قال الفرَّاء : «يُضلهم عن هذه الكلمة»[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ ؛ أي من تثبيت المؤمن وتلقينه الصواب ، وإضلاله الكافر ، قال الفرَّاء : «أي لا يُنْكَر له قدرة ولا يُسأل عما يفعل»[٧] .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٢٢ .

(٢) ساقطة من (أ) و(د) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٢ بنصه .

(٤) أي لا يوفق ، كما في تفسير الطبري :١٣/ ٢١٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٤ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، كما في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٤ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٧ ولفظه : «أي عن قول لا إله إلا الله» .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٧ بنصه ، لكن فيه «لا تنكروا» بالنهي ، وما ذكره الواحدي بالخبر هو الصواب المناسب للسياق ؛ فالسياق ليس في الأمر والنهي بل هو خبر ، ولعله وقع تصحيف في نُسخ المصدر .

٢٨. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ قال ابن عباس: «يريد كفار قريش»[١]، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد، والضحاك[٢]، وقتادة قال: «هم مشركو مكة، أنعم الله عليهم بالنبيّ ﷺ فكفروا به ودعوا قومهم إلى الكفر»[٣]، وذلك قوله: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ يعني: الذين اتبعوهم.

﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: الهلاك، يقال رجل بائر، وقوم بُور[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢]، هذا قول جميع أهل اللغة[٥]، وأراد بـ ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: جهنّم، ألا ترى أنه فسَّرها فقال:

---

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٣ ولفظه: «فقال: قريش أو قال: اهل مكة»، والبخاري: التفسير/ إبراهيم ٤/ ١٧٣٥ ولفظه: «هم كفار اهل مكة»، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٢٣، ولفظه: «هم اهل مكة»، والطبري ٧/ ٤٥٤ بألفاظهم بعدة روايات، وقد أخرجوه كلهم من طريق عمرو بن دينار عن عطاء صحيحة، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٢، ولفظه: «هم قادة قريش يوم بدر»، والطوسي ٦/ ٢٩٤ بنصه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٥٦، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل لم أجده. وهذه العبارات التي وردت عن ابن عباس لا تنافي بينها؛ لأنها وصف لشيء واحد ببعض صفاته.

(٢) تفسير مجاهد ٣٣٥ بنصه، وأخرجه الطبري ١٣/ ٢٢٢ بنصه وبنحوه عنهم من طرق، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٣٦ بنحوه عن سعيد ومجاهد، والطوسي ٦/ ٢٩٤ بنصه عنهم.

(٣) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٢ عن قتادة، ولفظه: «قال هم قادة المشركين يوم بدر»، والطبري ١٣/ ٢٢٢ بنحوه من طريقين، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٣٦ بنحوه، والطوسي ٦/ ٢٩٤ بنحوه، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٥٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم. وفي نسخة (ش) و(ع) زيادة (به) بعد كلمة الكفر، والكلام مستقيم من دونها.

(٤) البور: مصدر بار الشيء يبور بَوْراً: إذا هلك، والرجل بُور؛ أي هالك، الواحد والجميع فيه سواء، ويقال شيءٌ بائرٌ وبَأْرٌ وبَوْرٌ وبُوْرٌ: أي فاسد. انظر: الجمهرة ١/ ٣٣٠، وتهذيب اللغة (بار) ١/ ٢٥٤، والمحيط في اللغة (بور) ١٠/ ٢٧٠.

(٥) انظر بالإضافة إلى المصادر السابقة: غريب اليزيدي ١٩٧، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٧، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٢، وتفسير المشكل ٢١٤، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٠٢، والدر المصون ٧/ ١٠٣.

٢٩. ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ ؛ أي المقر ، وهو مصدرٌ سُمي به .

٣٠. قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال ابن عباس : «يريد من الحجارة والخشب وغير ذلك»[١] ، ﴿لِّيُضِلُّوا﴾ : الناس عن دين الله ، وقرأ الكوفيون بفتح الياء[٢] والمعنى : أنهم لم ينتفعوا بما اتخذوا من الأنداد ، ولم يتخذوها[٣] إلا ليزيغوا عن الطريق المستقيم الذي نُصبت الأدلة عليه ، وهذه لام العاقبة[٤] ، وقد ذكرنا معناها في مواضع .

ثم أوعدهم بالعذاب فقال : ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ قال ابن عباس في هذه الآية : «لو صار الكافر مريضاً سقيماً ، لا ينام ليلاً ولا نهاراً ، جائعاً لا يجد ما يأكل ويشرب ، لكان هذا كله نعيماً عندما يصير إليه من شدة العذاب ، ولو كان المؤمن في الدنيا في أنعم عيشة لكان بؤساً عندما يصير إليه من نعيم الآخرة»[٥] .

٣١. وقوله تعالى : ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قال الفرَّاء : «جُزمت ﴿يُقِيمُوا﴾ بتأويل الجزاء ، ومعناه معنى أمر ؛ كقولك : قل لعبدالله يذهب عنا ، يريد : قل له : اذهب عنا ، فجُزم بنية الجواب وتأويله الأمر ، ومثل هذا قوله : ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ [الجاثية :١٤] ،

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٦ بنصه .

(٢) لقد أخطأ الواحدي ـرحمه اللهـ في ذلك ، فالذين قرؤوا بالفتح هم ابن كثير وأبو عمرو ويونس ـأحد رواة يعقوبـ وهؤلاء ليسوا كوفيين . انظر : التيسير ١٣٤ ، والموضح في وجوه القراءات ٢/ ٧١١ ، والنشر ٢/ ٢٩٩ ، والإتحاف ٢٧٢ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٢٤ .

(٣) في (أ) و(د) : (يتخذوا) والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح لانسجامه مع السياق .

(٤) يقول الفخر الرازي : «هي لام العاقبة ؛ لأن عبادة الأوثان سبب يؤدي إلى الضلال» . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٢٣ .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٦ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٣ .

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء :٥٣]» هـذا كلامه[١] ومعنى هذا أن[٢] قولـه : ﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معناه معنـى الأمر ؛ أي قل لهم يقيموا الصـلاة ، إلا أنه أُجري على ظاهر اللفـظ كأنه جواب قوله : ﴿قُل﴾ ، وزاد ابـن الأنبـاري لهذا بياناً فقال : «هـذا على معنى : قل لعبـادي الذين آمنـوا أقيموا الصـلاة ، فصُرف عن لفـظ الأمر إلى لفظ الخـبر ، وجُعل كالجواب للشرط المقدَّر مـن الأمر ، وهو أمر في الحقيقة»[٣] .

ومعنـى قول أبي بكر : «جُعل (كالجواب للشرط المقـدّر)[٤]» هو أن الأمر معه شرط مقدّر ؛ كقول القائل : أطـع الله يدخلك الجنة ، معناه : إن أطعتـه يدخلك الجنة ، لذلك التقديـر في هذه الآية : إن يقل لهم يقيموا ، هذا ظاهر الـكلام ، وهو في المعنى أمر على ما بيَّنَّا .

وقال أبو إسـحاق : «قوله : ﴿يُقِيمُوا۟﴾ مجزوم بمعنـى اللام ؛ كأنه ليقيموا إلا أنها أسـقطت ؛ لأن الأمر قد دل على الغائب (بقل) ، يقول : قل لزيد لِيضْرب عمـراً ، وإن شـئت قلت : قـل لزيد يضرب عمـراً ، ولا يجوز : يـضربْ زيدٌ عمراً ، بالجـزم حتى يقول : لِيضربْ ؛ لأن لام الغائـب ليس هاهنا منها عوض إذا حذفتها» ، وذكر وجهاً ثالثاً ؛ وهـو أن يكون المعنى : قل لعبادي الذين آمنوا

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٧ ، بتصرف يسير .

(٢) وردت (أن) قبل هذا في النسـخ جميعها ، وهي زائدة أدت إلى اضطراب السياق ، ولعلها من الناسخ ، لذلك حذفت .

(٣) لم أقف على مصدره ، وأورده ابن الجوزي في تفسيره ٤/ ٣٦٣ بنحوه ، وهذا القول قال به المازني كما في إعراب القرآن للنحاس ١٨٤ ، والمبرِّد في المقتضب ٢/ ٨٤ .
وقد رجحه أبـو البركات الأنباري في البيـان في غريب الإعراب ٢/ ٥٩ ، بينـما ضعَّفه العكبري في الإملاء ٢/ ٦٩ ، وأبو حيان ٥/ ٤٢٦ ، وابن هشام في المغني ٢٩٩ .

(٤) ما بين القوسين من (ش) ، وساقط من (أ) و(د) و(ع) .

[أقيموا الصلاة][١] يقيموا الصلاة ؛ لأنهم إذا آمنوا وصدَّقوا فإن[٢] تصديقهم بقبولهم[٣] أمر الله[٤] ، فعلى هذا قوله ﴿ يُقِيمُواْ ﴾ جواب أمر محذوف .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ قال أبو عبيدة : «البيع هاهنا : الفداء ، والخلال : المخالَّة»[٥] ، قال مقاتل : «إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ، ولا مخالَّة ولا قرابة ، إنما هي أعمال يثاب بها قوم ويعاقب عليها آخرون»[٦] ، ومثل هذه الآية قوله : ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة ٢٥٤] ، وقد مرَّ .

وجميع أهل المعاني قالوا في الخلال هاهنا إنه : الـمُخالَّة[٧] ، وأنشدوا قول امرئ القيس :

وَلَسْتُ بِـمَقْلِـيِّ[٨] الخِلالِ ولا قَالِي[٩]

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في الأصل ، والظاهر أنها ساقطة ؛ لأن المعنى مضطرب من دونها .

(٢) في النسخ جميعها (بأن) والمثبت مصَّوب من المصدر .

(٣) في النسخ جميعها : (بقلوبهم) ، وهو تصحيف ، والمثبت هو الصحيح وموافق للمصدر .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٢ بنصه .

(٥) مجاز القرآن ١/ ٣٤١ ، ولفظه قال : «﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ مجازه : مبايعة فدية ، ﴿ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ ؛ أي مُخالة خليل» . الخُلّة : مُخالَّة الخليلين ، وهي مصدر ؛ يقال : خاللتُه مخالَّةً وخُلَّةً وخلالاً ، وجمعها : خِلال ، وهي الحُبُّ والمودةُ ، وهي أخص من الصداقة .
انظر : جمهرة اللغة ١/ ١٠٧ ، والمحيط في اللغة (خل) ٤/ ١٧٥ ، واللسان (خلل) ٢/ ١٢٥٢ .

(٦) تفسير مقاتل ١/ ١٩٣ب ، بمعناه ، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٧ بنصه .

(٧) مجاز القرآن ١/ ٣٤١ ، بلفظه ، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٠ ، بمعناه ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٣ ، بلفظه ، وورد بلفظه في غريب القرآن لليزيدي ١٩٨ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٣٧ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٢٤ ، وتفسير المشكل ٢١٤ .

(٨) في النسخ جميعها (بمُلْقِي) وهو تصحيف ، والتصويب من الديوان وجميع المصادر .

(٩) وصدره :
صرفْتُ الهوى عنهُنّ من خشية الرّدى
ديوان امرئ القيس ١٢٦ ، وورد في تفسير الطبري ١٣/ ٢٢٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٣ ، =

قال أبو علي : «ويجوز أن يكون جمع خُلَّة مثل : بُرْمَة وبِرام[١] ، وعُلْبة وعِلاب»[٢] ، قال ابن الأنباري :«ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله : ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف :٦٧] فأثبت الخُلَّة للمتقين ؛ لأن لذلك اليوم أحوالاً ومواطن مختلفةً ، ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خُلَّةِ خليله»[٣] ، يدل[٤] على ذلك قوله : ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج :١٠] ، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس :٣٤] وفي بعضها يتعاطف أولياء الله بالمُخالَّة التي كانت بينهم .

٣٣. قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ قال ابن عباس : «يريد ليُعرف النهار من الليل ، والليل من النهار»[٥] .

= وشرح ديوان الحماسة ٣/ ٣٢١ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٥ب ، وابن عطية ٨/ ٢٤٥ ، واللسان (خلل) ٢/ ١٢٥٢ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٢٧ ، والدر المصون ٧/ ١٠٨ . (المقْلي) المُبْغَض ، اسم مفعول ، و(القالي) : المُبْغِض ، اسم فاعل ، يريد أنه لم ينصرف عن الحسان لأنه أبغضهنَّ ، ولا لأنهنَّ أبغضْنه ، ولكن خشية الفضيحة والعار ، فهو متيَّم بحبهنَّ ولكنه صرف هذا الحب عنهنَّ خشية الهلاك ، ولم ينصرف عنهنَّ لسوءٍ في طباعه .

(١) البُرْمة قِدْر من حجارة ، ويجمع بُرْم وبُرَم وبِرام . انظر : جمهرة اللغة ١/ ٣٢٩ ، والمحيط في اللغة (برم) ١٠/ ٢٤٢ .

(٢) الحجة للقراء ٢/ ٣٥٥ ، بتصرف . العُلْبة وعاء من جلد جنب البعير يُسوى على هيئة القصْعة المدورة ، كأنها نُحتت نحتاً أو خُرطت خرْطاً ، يُحْتلب فيها ، وتُجمع عُلباً وعِلاباً . انظر : جمهرة اللغة ١/ ٣٦٦ ، وتهذيب اللغة (علب) ٣/ ٢٥٤٢ .

(٣) لم أقف على مصدره ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير صديق خان ٧/ ١١٧ .

(٤) ساقط من (د) .

(٥) لم أقف عليه ، والذي ذكره الطبري والثعلبي وغيرهما عن ابن عباس قولاً آخر ؛ هو قوله : «دؤوبهما في طاعة الله» . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٢٥ ، والثعلبي ٧/ ١٥٥ب ، والبغوي ٣/ ٣٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٥٨ .

قال الزَّجَّاج : «معناه دآئبين[١] في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره لا يفْتُران»[٢] ، ومعنى الدؤوب في اللغة : مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه ، دأب يَدْأَبُ دأْباً ودُؤُوباً[٣] وقد ذكرنا هذا في قوله : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف :٤٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد لتبتغوا بالنهار من فضله وتقوموا بطاعته وفرائضه ، والليل لتسكنوا فيه ، وجعل ذلك راحة لكم»[٤] .

٣٤. قوله تعالى : ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ قال أبو علي : «المفعول محذوف تقديره من كل مسؤول شيئاً أو مسؤولاً أو نحو ذلك ، ومثله قوله : ﴿ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ ﴾ [البقرة :٦١] ؛ أي شيئاً ، فحذف المفعول ، وكذلك قوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل :٢٣]» قال : «ويجوز في قياس قول أبي الحسن[٥] أن يكون الجار والمجرور في موضع نصب ، وتكون (من) زيادة في الإيجاب كما تكون زيادة في غير الإيجاب»[٦] ، وقال ابن الأنباري : «تقدير الآية : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ وما لم تسألوه ؛ لأنا لم نسأله شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نِعمه التي ابتدأنا بالإحسان إلينا بها ، فاكتُفِي بالسؤال عن

---

(١) في النسخ جميعها : (آيتين) ، والمثبت هو الصواب والموافق للمصدر .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٣ بنصه تقريباً .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (دأب) ٢/ ١١٢٧ ، والمحيط في اللغة ٩/ ٣٧٦ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٣٢١ ، والصحاح ١/ ١٢٣ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٦٧ ، مختصراً .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٠ ، ورد القول مجملاً ففصَّله أبو علي .

(٦) لم أقف على قوله ، وانظر : التعليق على القول بالزيادة في القرآن ، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم .

غير[١] المسؤول ؛ كقوله : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾[٢] [النحل :٨١]» ، قال : «ويجوز أن يكون المعنى : وآتاكم من كل ما تتمنُّون وتشْتهون وتُؤثرون»[٣] ، قال الكسائي : «العرب تقول إذا أتيت فلاناً أعطاك سُؤلك ، وصرت منه إلى ما سألت ، لا يعنون السؤال بعينه ، ولكنهم يريدون ما يشتهي ويَتمنَّى ويُؤثر» ، هذا كلامه[٤] ، وأما مفعول الإيتاء فهو على ما ذكره أبو علي[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ النعمة هاهنا اسم أقيم مقام المصدر يقال : أنعم الله عليه ، يُنْعِم إنعاماً ونِعْمَةً ، أقيم الاسم مُقَام الإنعام ؛ كقولك : أنفقت عليه إنفاقاً ونفقةً ، بمعنى واحد[٦] ولذلك لم يجمع ؛ لأنه في مذهب المصدر ، ومعنى قوله : ﴿ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ : لا يأتوا على جميعها بالعَدِّ لكثرتها ، بيانه قوله : ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن :٢٨] ؛ أي أحاط علمه باستيفاء عدد كل شيء .

---

(١) يبدو لي أن (غير) زائدة ، وقد أدت إلى اضطراب المعنى ؛ لأنه إنما اكتفى في الجواب عن المسؤول وإن أعطاهم غير ما سألوا ، يؤيده ما استشهد به من القرآن وكلام العرب ، حيث اكتفى بما سألوا وإن أعطاهم أكثر مما سألوا . والله أعلم .

(٢) والتقدير : وسرابيل تقيكم البرد ، فاكتفي بأحدهما لدلالته على الآخر . انظر : الفريد في الإعراب ٣/ ١٦٨ .

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٧٤٢ ، وعبارته مختلفة ، قال : «سألت أبا العباس عن هذا فقال لي : من أضاف أي (كل) إلى (ما) ، أراد : «وآتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه» ، ومن نَوَّن أي كلٍّ ، أراد : «آتاكم من كلٍّ لم تسألوه» ؛ وذلك أنا لم نسأل الله شمساً ولا قمراً ولا كثيراً من نعمه» . وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٨ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٥ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٥٧ ، وصديق خان ٧/ ١١٩ .

(٤) لم أجده ، وورد نحوه غير منسوب في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٣ .

(٥) أي محذوف ، وتقديره : من كل مسؤول شيئاً أو مسؤولاً .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (نعم) ٤/ ٣٦١٥ بنصه .

وقال الكلبي : «لا تحفظوهـا»[١] ، وقال أبو العالية : «لا تطيقون عدَّها»[٢] ، والقـولان قد فُسّر بهما[٣] قوله : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل :٢٠] ، قال الفرَّاء : «علم أن لن تحفظوا مواقيت الليل»[٤] ، وقال غيره : معناه : علم أن لن تطيقوه[٥] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ قـال ابن عباس : «يريد أبا جهل ظلوم لنفسـه كفَّار بنعمة ربه»[٦] ، وقال أبو إسحاق : «هذا اسم للجنس ، فقصد بـه الكافر خاصة ؛ كـما قـال : ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟﴾[العصر :١-٣] ؛ فالإنسـان غير المؤمن ظلـوم كَفَّار»[٧] ، قال المفسرون : ظلوم : كافرٌ شـاكرٌ غيرَ من أنعم عليه ، واضعٌ الشكر غير موضعه ، ﴿كَفَّارٌ﴾ : جحود لنعم الله[٨] .

---

(١) ورد في تفسيره الوسـيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٨ ، بلفظه ، وورد غير منسـوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٨ .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٨ بنصه ، وورد بنصه بلا نسبة في تفسير البغوي ٤/ ٣٥٤ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٧ .

(٣) في (ش) و(ع) : (فسرتها) ، وفي (د) : (فسرهما) .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢٠٠ بنصه .

(٥) أخرجه الطبري ٢٩/ ١٤٠ ، بلفظه عن الحسن وسعيد وسفيان ، وورد بلفظه في تفسير المشكل ٣٦٢ ، وتفسير الماوردي ٦/ ١٣٢ ، عن الحسن .

(٦) ورد في تفسـيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٢٩ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٧ ، والخازن ٣/ ٨٠ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٤ بنصه .

(٨) ورد في تفسـير الطبري ١٣/ ٢٢٧ بنصه تقريباً ، والثعلبي ٧/ ١٥٦أ بنصه ، وانظر : تفسـير البغوي ٤/ ٣٥٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٥ .

٣٥. قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ تفسير هذا قد سبق في سورة البقرة[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ قال الفرَّاء : «أهل الحجاز تقول : جَنَبَنِي يَجْنُبُنِي خفيفة ، وأهل نجد تقول : أجْنَبَنِي شرَّه وجَنَّبَنِي شرَّه»[٢] ، ونحو هذا قال الكسائي[٣] ، وقال الزَّجَّاج : «أجْنَبْتُه كذا وكذا : جعلته ناحية منه وجانباً ، وكذلك جَنَّبْتُه وجَنَبْتُه»[٤] ، وأنشد أبو عبيدة لأُميّة بن الأَسْكَر :

وَتَنْفُضُ مَهْدَهُ شَفَقاً عَلَيْهِ وَتَجْنُبُهُ قَلائِصَنا الصِّعَابَا[٥]

قال أبو إسحاق : «ومعنى الدعاء من إبراهيم أن يُجَنَّبَ عبادة الأصنام ، وهو غير عابد لها ، على معنى : ثبِّتْنِي على اجتناب عبادتها ؛ كما قال : ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة :١٢٨] ؛ أي ثبِّتْنا على الإسلام»[٦] .

---

(١) آية ١٢٦ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٨ بنصه تقريباً .

(٣) لم أقف على مصدره .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٤ ، بتصرف يسير .

(٥) ورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٢ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٢٨ ، والثعلبي ٧/ ١٥٦ب ، وورد في الأغاني ٢١/ ١٤ ، والخزانة ٦/ ١٩ ، برواية :

تُمَسِّح مَهدَه شفقاً عليه وتَجْنُبُه أباعِرها الصِّعابا

(قلائص) جمع قَلُوص ، قال أبو منصور : «القَلُوص : الفتيَّةُ من النُّوق ، بمنزلة الفتاة من النساء ، وربما سمُّوا الناقة الطويلة القوائم قَلُوصاً» . انظر : تهذيب اللغة (قلص) ٣/ ٣٠٣٢ ، والصحاح ٣/ ١٠٥٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٤ بنصه .

وقـــال غيره من أهل المعاني قوله : ﴿ وَبَنِيَّ ﴾ دعاء لمن أذن الله في أن يدعو له ؛ فكأنه قال : وبنيَّ الذين أذنت لي في الدعاء لهم ؛ لأن دعاء الأنبياء مستجاب ، وقد كان من نسله من عبد الصنم[١] ، أو خص بهذه الدعوة أبناءه من صُلْبِه[٢] .

والصَّنم : الصورة التي تُعْبَد ، وجمعه أصنام[٣] .

٣٦. قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ قال أبو إسحاق وغيره : أي ضَلُّوا بسببها ؛ لأن الأصنام لا تعقل ولا تفعل شيئاً ؛ كما يقول : قد افْتَتَنْنِي هذه الدار ؛ أي أَحْبَبْتُها واسْتَحْسَـــنْتُها وافْتُتِنْتُ بسببها[٤] ، فلما ضل الناس بسببها صارت كأنها أضلتهم ، فنُسِب الفعل إليها .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَنِى ﴾ قـــال ابن عباس : «يريد على ديني بالتوحيد لك والمعرفة بك»[٥] .

---

(١) وعلى هذا القول يكون دعاؤه من العام المخصوص . انظر : تفســير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٣ ، والدر المنثور ١/ ٢٥٢ .

(٢) لم أقف عليه في الكتب المطبوعة . وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٤ ، وابن عطية ٨/ ٢٥٠ ، والزمخشري ٢/ ٢٠٤ .

(٣) الصَّنـــم معروف ، وهو أخص مـــن الوثن ، والفرق بينهما ؛ أن الصنم هو مـــا نحت على هيئة البشر ، والوثن ما كان منحوتاً على غير هيئة البشر .
انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢٥١ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٣٣ ، والألوسي ١٣/ ٢٣٤ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٤ بنصه تقريباً .

(٥) ورد بنحوه مختصراً غير منســـوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٦٨ ، والألوسي ١٣/ ٢٣٥ .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ قال ابن الأنباري : «يريد من الـمُتديِّنين بديني المتمسِّكين بحبلي ؛ كما قال[١] :

إذا حَاوَلْتَ في أَسَـدٍ فُجُـوراً فَإِنِّي لَسْـتُ مِنْكَ وَلَسْـتَ مِنّي[٢]

أراد : ولستَ من المتمسِّكين بِحَبْلي»[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [قال السُّـدي : «معناه ومن عصاني ثم تاب»[٤] ، ﴿ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾][٥] له إن تاب وإن آمن ، لا أنه يقول : أن مـن كفر فإن الله يغفر له ، وقال مقاتل : «ومن عصاني في ما دون الشرك فإنك غفور رحيـم»[٦] ، وشرح أبو بكر هذا فقال : «معنـاه : فمن عصاني فخالف في بعض الشرائع ، وعقْدُ التوحيد معه فإنك غفور رحيم ، إن شئت تغفر له غفرت إذ كان مسـلماً»[٧] ، وذكر وجهين آخرين ؛ أحدهما : أن هذا كان قبل أن يُعلِّمه الله

---

(١) البيت للنابغة الذبياني .

(٢) ديـوان النابغة ١٣٨ ، وورد في الكتاب ٤/ ١٨٦ ، وتفسـير القرطبـي ٩/ ٢٥٢ ، والخازن ٣/ ٨١ ، والـدر المصون ٢/ ٥٢٦ . قال النابغة هذه القصيدة ردّاً على عُيينة بن حصن الفزاري الذي دعاه قومه إلى مقاطعة بني أسد ونقض حلفهم لما قتلوا رجلين من بني عبس رداً على قتلهم نضلة الأسدي ، فأبى عليه النابغة وتوعده بالمقاطعة إن حاول الإساءة إلى بني أسد . والمراد بالفجور : نقض الحلف .

(٣) لم أقف على مصدره ، وورد بنصه غير منسوب في تفسير الخازن ٣/ ٨١ .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٦ب بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٣٤ ، والخازن ٣/ ٨١ ، والألوسي ١٣/ ٢٣٥ ، وصديق خان ٧/ ١٢٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٦) مقاتل هنا هو ابن حيان ، وقد وردت هذه العبارة بنصها منسـوبة إليه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٦ب ، والبغوي ٤/ ٣٥٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٥ ، والخازن ٣/ ٨١ ، والألوسي ١٣/ ٢٣٥ ، وصديق خان ٧/ ١٢٣ ، وفي تفسير مقاتل بن سليمان ١/ ١٩٤أ ، قال : «ومن عصاني فكفر فإنك غفور رحيم» .

(٧) وهذا هو مذهب اهـل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة . انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢/ ٦٥٨ ، وشرح العقيدة الطحاوية ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

أنه لا يغفر[١] الشرك ، كما استغفر لأبويه[٢] ، وهو يُقَدِّر أن ذلك غيرُ محظور ، فلما عــرف أنهما غير مغفور لهما تبرأ منهما[٣] . والآخر : ومن عصاني بإقامته على الكفر فإنك غفور رحيم ، يعني : أنك قادر على أن تغفر له وترحمه ؛ بأن تنقله عن الكفر إلى الإسلام وتهديه إلى الصواب[٤] .

٣٧. قوله تعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ قال الفرَّاء : «ولم يأت منهم بشيء[٥] يقع عليه الفعل ، وهو جائز أن يقول : قد أصبنا من بني فلان ، وقتلنا من بني فــلان ، وإن لم يقل رجالاً ؛ لأن (من) تؤدّي عن بعض القوم ؛ كقولك : قد أصبنا من الطعام وشربنا من الماء» ، ومثله : ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ ﴾[٦] [الأعراف :٥٠] ، قال أبو بكر : «ويجوز أن يقال :

---

(١) في النســخ جميعها (لا يغفرك) بزيادة الكاف ، وقد أدت إلى اضطــراب المعنى ، لذلك حذفت كما في تفسير الخازن ٣/ ٨٢ .

(٢) هذا من باب التوسع في الكلام ؛ لأن الآيات التي تحدثت عن استغفار إبراهيم ـعليه السلامـ ذكرت استغفاره لأبيه وحده . وانظر : الكلام حول أُمّه عند الآية (٤١) من هذه السورة .

(٣) هذا إشــارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ ﴾ [التوبة :١١٣] .

(٤) لم أقف على مصدره ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٥ ، مختصراً ، والخازن ٣/ ٨٢ بنصه . يتحصل بذلك أربعة أقوال في تأويل الآية ، والأرجح : قــول مقاتل ، لصراحته وخلوه من التكلف ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء :١١٦] ، وهو ما رجحه الفخر الرازي من دون الإشــارة إلى أنه قول مقاتل ، كذلك ضعف الأقوال الأخرى في تأويل الآية . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٣ـ١٣٥ .

(٥) في (أ) و(د) : (شيء) من دون الباء ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو موافق للمصدر .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٨ بنصه .

إن (من) دخلت لتوكيد الكلام ، والتقدير : ربنا إني أسكنت ذريتي[١] كما قال ذو الرُّمّة :

تَبَسَّمْنَ عَنْ نَوْرِ الْأَقَاحيِّ فِي الضُّحَى
وَفَتَّرْنَ مِنْ أَبْصَارِ مَضْرُوجَةٍ نُجْلِ»[٢]

وعلى ما ذكر الفرَّاء (من) دخلت للتبعيض ، والتأويل : إني أسكنت بعض ذريتي ، وذلك أنه أنزل إسماعيل بعض ذرية إبراهيم ، يدل على هذا قول ابن عباس في هذه الآية : ﴿إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ «يريد : إسماعيل»[٣] ، ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ قال : «يريد وادي مكة ، ومكة كلها واد» ، والكلام في الوادي قد ذكرنا عند قوله : ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ﴾ [الرعد :١٧] والقول الأول : اختيار أبي علي ، قال : «معناه إني أسكنت من ذريتي ناساً ، فحذف المفعول لدلالة الإسكان عليه»[٤] .

---

(١) لم أقف على مصدره ، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٠ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٦ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١١٢ ، وصديق خان ٧/ ١٢٤ .

(٢) رواية الديوان كما في شرح ديوان ذي الرُّمة ١/ ٤٦٦ :

وتَبْسِمُ عن نَوْرِ الأقاحيِّ أقْفَرَتْ بَوعساءِ مَعْروفٍ تُغامُ وتُطْلَقُ

وليس في رواية الديوان شاهد ، والشاهد في رواية المؤلف : (من) والتأويل : وفترن أبصار ، بإسقاط (من) لأنها جاءت للتوكيد . وورد البيت في مادة (ضرج) في تهذيب اللغة ٣/ ٢١٠٧ ، واللسان ٥/ ٢٥٧١ ، والتاج ٣/ ٤٢٢ ، وفي هذه المصادر اختلافان عن ما ذكره الواحدي هما : (الثرى) بدل (الضحى) ، و (عن) بدل (من) . وورد البيت في الأساس ٢/ ٤٦ ، باختلافين أيضاً (غُرّ) بدل (نَوْر) ، و(الثرى) بدل (الضحى) ، ومعنى (النَّور) الزَّهرُ ، و(الأقاحيِّ) نبتٌ طيبُ الريح ، زهره أبيضُ حَسَنٌ ، فشبّه بياض أسنانها به ، و(مَضْروجة) : الضَّرْج الشَّق ، قال أبو عبيد : «عَينٌ مضْروجة : أي واسعةُ الشَّقِّ نجْلاء ، والنُجلُ سعة العين مع حُسْن . انظر : تهذيب اللغة (ضرج) ٣/ ٢١٠٧ ، واللسان ٥/ ٢٥٧٠ ، والتاج ٣/ ٤٢١ ، والمحيط في اللغة (نجل) ٧/ ١٠٨ .

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٠ ، من طريق سعيد بن جبير صحيحة ، مع زيادة وأُمّه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٤٧ .

(٤) لم أقف على مصدره . وهو قول الفرَّاء .

وقوله تعالى : ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ قيل معناه : عند بيتك المحرم الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض حتى رفعته أيام الطوفان ؛ لأن إسكان الخليلِ إسماعيلَ مكة كان قبل بنائهما البيت ، وقيل : عند بيتك المحرم الذي قد مضى في سابق علمك أنه يحدث في هذا الوادي[١] .

وقوله تعالى : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابن عباس : «يريد ليعبدوك»[٢] .

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ ، أبو عبيد عن الأصمعي «قال : هَوَى يَهْوِي هُوِيّاً ، إذا سقط من عُلو إلى سفل»[٣] ، وقال ابن الأعرابي : «هَوَت العُقابُ[٤] تَهْوِي هَوِيّاً بالفتح ، إذا انقضَّت[٥] على صيد أو غيره»[٦] ، وقال الفرَّاء في هذه الآية : «﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تريدهم ؛ كما تقول : رأيت فلاناً يَهْوِي نحوك[٧] ، معناه : تنحط إليهم وتنحدر وتنزل[٨] ، يقال هوى الحجر من رأس الجبل يهوي ، إذا انحدر وانصب»[٩] ، هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف .

---

(١) ورد بنصه في تفسير الطبري ١٣/ ٢٣٣ ، والثعلبي ٧/ ١٥٧أ ، انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢٥٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٦ ، والخازن ٣/ ٨٣ .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٢ ، بلفظه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ بنصه ، والصحاح (هوى) ٦/ ٢٥٣٨ بنصه تقريباً .

(٤) طير معروف ، وهو من العِتاق ؛ أي الجوارح ، ويقع العُقاب على الذكر والأنثى . انظر : اللسان (عقب) ٥/ ٣٠٢٨ .

(٥) (أ) و(د) : (نفضت) من غير ألف وبالفاء ، والمثبت من (ش) و(ع) .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (هوى) ٤/ ٣٨١٣ بنصه تقريباً .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٨ بنصه .

(٨) هذا معنى الآية لا معنى القول ، وهو قول ابن الأنباري كما في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٨ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٧ ، والخازن ٣/ ٨٣ .

(٩) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٧ بنصه .

فأما قول المفسرين ؛ فقال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد تحِنُّ[١] إليهم زيارة بيتك»[٢] ، وفي هذا بيان أن حنين الناس إليهم إنما هو لحج البيت لا لأعيانهم ، وفي هذا دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ، ودعاءٌ لسكان مكة[٣] من ذريته ؛ لأنهم يرتفقون[٤] بمن يأتي مكة لزيارة البيت[٥] ، وقال قتادة في قوله : ﴿تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ : «تنزع إليهم»[٦] ، وقال أبو إسحاق : «أي اجعل أفئدة جماعة من الناس تنزع إليهم»[٧] ، وهذا معنى قول مجاهد : «لو قال : أفئدة الناس ؛ لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند»[٨] ، وقال سعيد بن جبير : «لو قال : أفئدة الناس ؛ لحجت إليه اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾

---

(١) في (د) : (نحو) .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٧ ، والخازن ٣/ ٨٣ ، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/ ١٣٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٣ .

(٣) في (د) : (مكان) .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، وفي تفسير الخازن ٣/ ٨٣ : «بأنهم ينتفعون» ، وقد نقل المقطع من الواحدي ، ويستقيم المعنى بالعبارتين ، فعلى عبارة المخطوط (يرتفقون) مأخوذة من الرفق ، بمعنى أن القلوب تحن إليهم بسبب ارتفاقهم بالزوَّار والحجاج لبيت الله العتيق ، وعلى عبارة الخازن (ينتفعون) من الانتفاع ؛ فهم ينتفعون ممن يقدم مكة حاجّاً أو زائراً .

(٥) انظر : تفسير الخازن ٣/ ٨٣ ، نقله بتصرف بزيادة وحذف ، من بداية قول الأصمعي من دون نسبة للواحدي .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٣ بنصه ، والطبري ١٣/ ٢٣٤ بنصه من طرق ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٥ بنصه .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة ٣/ ٤٣٠ ، والطبري ١٣/ ٢٣٤ من طرق ، وليس فيها ذكر الترك والهند ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٩ مثلها ، والثعلبي ٧/ ١٥٨أ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٧ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٣ ، والخازن ٣/ ٨٣ ، كلهم بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦١ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

فهم المسلمون»[١] ، وقال ابن عباس في قوله : ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ : «يريد من المؤمنين من ذريته ومن غير ذريته» .

وقوله تعالى : ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة البقرة عند قوله : ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة :١٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال : «يريد كي يوحدوك ويعظموك» .

٣٩. قوله تعالى : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ قال ابن عباس : «وُلِدَ إسماعيلُ لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة[٢] ، ووُلد له إسحاقُ وهو ابن مائة واثنتي[٣] عشرة سنة»[٤] .

٤٠. قوله تعالى : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ذكره على النعت ولم يذكره على الفعل ؛ لأن النعت ألزم وأكثر من الفعل ، كأنه قال : رب اجعلني من عادتي إقامة الصلاة ، ولو قال : اجعلني أقيم الصلاة ، لم يكن فيه من المبالغة ما في المقيم ، وذكرنا استقصاء هذا الفصل في قوله : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية [الإسراء :٢٩] .

---

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٩ من دون ذكر المجوس ، والثعلبي ٧/ ١٥٨أ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٧ بنصه ، والفخر الرازي ١٩/ ١٣٧ بنصه .

(٢) ساقطة من (د) .

(٣) في النسخ جميعها : (اثني) ، وهو خطأ نحوي ظاهر .

(٤) ورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٨أ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٥ ، والخازن ٣/ ٨٣ ، والبقاعي ٤/ ١٩٢ ، والألوسي ١٣/ ٢٤٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ قال الزَّجَّاج : «أي واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة»[١] ، وهذا كما ذكرنا في قوله : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ ، وقوله : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾ قال ابن عباس : «يريد عبادتي»[٢] ، وهذا كقوله ﷺ : «الدُّعاءُ مخُّ العبادة»[٣] .

٤١. قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ قال أبو إسحاق : «كان هذا الدعاء من إبراهيم لوالديه قبل أن يتبين له أن أباه عَدُوٌّ للهِ»[٤] ، وقد

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٥ بنصه . وانظر : مجاز القرآن ١/ ٣٤٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٧ .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٣ ، بلفظه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٣٩ ، وورد بنحوه بلا نسبة في تفسير الطبري ١٣/ ٢٣٥ ، والثعلبي ٧/ ١٥٨ب ، والبغوي ٤/ ٣٥٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٥ ، والألوسي ١٣/ ٢٤٣ . صحيح أن الدعاء يرد بمعنى العبادة في القرآن والسنة ، لكن لا دليل هنا بتخصيصه بالعبادة ، بل هو الدعاء بالمعنى المعروف ؛ أي الطلب والقصد ، والسياق والسباق يؤيده ، كما أن قول ابن عباس ورد بلا سند ، وأغلب الظن أنه من الطرق الضعيفة ، وقد فسرت الآية بالدعاء المعروف ، في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٠٩ ، وهود الهواري ٢/ ٣٣٤ ، والطوسي ٦/ ٣٠٢ ، وابن عطية ٨/ ٢٥٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٦١ .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) في كتاب الدعوات ، باب جاء في فضل الدعاء ٥/ ٤٥٦ بنصه عن أنس ، وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لَهيعَة ، وأورده التبريزي في المشكاة ٢/ ٦٩٣ ، وابن حجر في الفتح ١١/ ٩٧ ، والمناوي في فيض القدير ٣/ ٥٤٠ ورمز له بالضعف ، والهندي في الكنز ٢/ ٦٢ ، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٨٥ ، وكلهم عزاه للترمذي ، والحديث ضعيف بسبب انفراد ابن لهيعة بروايته كما ذكره الترمذي رحمه الله ، وقد ضُعّف لسوء حفظه ، ذكره البخاري والدارقطني والنسائي في الضعفاء . انظر : الضعفاء لكل من النسائي ١٤٥ والدارقطني ٢٦٥ ، والبخاري ٦٥ ، وتقريب التهذيب ٣١٩ (٣٥٦٣) ، والجرح والتعديل ٥/ ١٤٥ ، وميزان الاعتدال ٣/ ١٨٩ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٥ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٨ . وهذا القول هو الراجح ؛ لموافقته آية التوبة ١١٤ ، وبعده عن التكلُّف كما في الأقوال التالية له ، وقد صححه ابن جزي في تفسيره ٢/ ١٤٢ ، واختاره ابن كثير ٢/ ٥٩٥ ، ورجحه صديق خان في تفسيره ٧/ ١٢٩ .

ذكرنا ذلك في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ الآية [التوبة :١١٤] . ولعل الأمَّ كانت مسلمة ، يدل على ذلك أنه ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أُمِّه[١] ، وقال ابن الأنباري : «استغفر لأبويه وهما حيّان طمعاً في أن يُهْدَيا إلى الإسلام ويَسْعَدا بالدين»[٢] ، وقال غيره : استغفر لهما بشرط الإيمان[٣] ، يدل عليه ما قال ابن عباس في هذه الآية : يريد : من لقيك مؤمناً مصدقاً فتجاوز عنه[٤] ، وهو معنى قوله : ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وقيل : أراد بوالديه آدم وحواء[٥] .

---

(١) انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٨ ، والرازي ١٩/ ١٤٠ ، والخازن ٣/ ٨٤ ، والألوسي ١٣/ ٢٤٣ . إسلام أمِّ إبراهيم روي عن الحسن ـ رحمه الله ـ (كما ذكر الألوسي) وليس هناك دليل ثابت على إسلامها ، لكن لمّا خص والده بالاستغفار في جميع الآيات الواردة بهذا الخصوص [التوبة :١١٤ ، ومريم :٤٧ ، والشعراء :٨٦ ، والممتحنة :٤] ما عدا هذه الآية مع أن حقها مقدم على حق الوالد فيه إشارة إلى أنها كانت مسلمة والله أعلم .

(٢) لم أقف على مصدره ، وورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٣ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٦٩ ، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/ ١٣٩ ، والزمخشري ٢/ ٣٨٢ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٧١ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٨ ، والزمخشري ٢/ ٣٠٦ ، وابن جزي ٢/ ١٤٢ ، وصديق خان ٧/ ١٢٩ ، وقد ضَعَّف الزمخشري هذا القول ، وحجته أنه يأباه قول الله تعالى : ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة :٤] لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه ، فكيف يُستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم ؟ !

(٤) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٣ بنصه .

(٥) ورد بلفظه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٧ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٣٩ ، وانظر : غرائب التفسير ١/ ٥٨٢ ذكره واستغربه ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٠٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٦٩ . وهو قول ضعيف فيه تكلُّف وبُعْد عن الظاهر .

٤٢. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ قال ابن عباس: «يريد المشركين أهل مكة»(١)، وكان سفيان بن عيينة إذا قرأ هذه الآية قال: «هذا تعزية للمظلوم، ووعيد للظالم»(٢).

وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال شمر: «يقال: شخص الرجلُ بصرَه، [وشخص البصرُ نفسُه، إذا سما وطَمَح وشَصَا(٣)، كلُّ ذلك مِثْلُ الشُّخُوصِ»(٤).

وقال ابن السِّكِّيت: «شَخَصَ بصرُهُ](٥)، إذا فتح عينيه لا يَطْرِفُ»(٦).

قال الفرَّاء: «أي لا يغتمض من هول ما يرى في ذلك اليوم»(٧).

وقال ابن عباس: «يريد يوم القيامة تشخص فيه أبصار الخلائق إلى الهواء، يريد: أنهم لعجائب ما يرون، ولشدة الحَيْرةِ والدهشة لا يغْتَمضون»(٨).

---

(١) لم أقف عليه، والتعميم أولى من التخصيص.

(٢) انظر: الكشاف ٢/ ٣٠٦، والرازي ١٩/ ١٤١، والخازن ٣/ ٨٤، والألوسي ١٣/ ٢٤٤.

(٣) انظر: اللسان (طمح) ٥/ ٢٧٠٢، و(شصا) ٤/ ٢٢٥٩.

(٤) ورد في تهذيب اللغة (شخص) ٢/ ١٨٤٠ نقله بنصه.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٦) إصلاح المنطق ٢٦٣ بنصه، وورد في تهذيب اللغة (شخص) ٢/ ١٨٤٠ بنصه، والطَّرْفُ: تحريك الجُفُونِ في النظر؛ يقال شخص بصرُه فما يَطْرِفُ. انظر: المحيط في اللغة (طرف) ٩/ ١٦٠.

(٧) لم أجد قوله في معانيه، وورد منسوباً إليه في تفسير القرطبي ٩/ ٣٧٦، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٦٤، وصديق خان ٧/ ١٣٠.

(٨) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٤ بنصه، وانظر: تفسير القرطبي ٩/ ٣٧٦، وورد نحوه بلا نسبة في تفسير الرازي ١٩/ ١٤١، والخازن ٣/ ٨٤، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٦٤، وصديق خان ٧/ ١٣٠.

٤٣. قوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قال أبو إسحاق: «منصوب على الحال، المعنى: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه أبصارُهُم مهطعين»، فعلى ما ذكره الألف واللام في: ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يدل على الكناية؛ لأن التأويل بأبصارهم على ما ذَكر، وأما تفسير الإهطاع[1] فقال أبو عبيدة: «هو الإسراع[2]، يقال: أهطع البعير في سيره واستهطع، إذا أسرع»[3]، وهو اختيار الزَّجَّاج؛ قال: «مهطعين: مسرعين»، وأنشد[4]:

بِدِجْلةَ أَهْلُهَا وَلَقَدْ أَراهُمْ[5] بِدِجْلَةَ مُهْطِعِينَ إِلى السَّمَاعِ[6]

قال: أي مسرعين[7]، وأنشد أبو عبيدة:

بِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ في رَأْسِ جِذْعٍ مِنْ أَوالَ مُشَذَّبِ[8]

---

(١) في النسخ جميعها (الانقطاع) وهو تصحيف ظاهر.

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٢٤ ولفظه: «مسرعين».

(٣) ورد بنصه في تهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩أ.

(٤) البيت ليزيد بن مُفرِّغ الحميري ت ٦٩هـ.

(٥) في النسخ جميعها (رآهم)، والمثبت موافق للديوان وجميع المصادر.

(٦) ديوانه ١٦٧، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٣، والوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٦٧، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٥٩، وفيه (دارُهم) بدل (اهلها)، وورد غير منسوب في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦، وتهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ١٧٣، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٦، واللسان (هطع) ٨/ ٤٦٧٤، والدر المصون ٧/ ١٢٠، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢٩٤، والمعنى: أي إنهم مقبلون برؤوسهم إلى سماع الداعي.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ بنصه.

(٨) ورد بلا نسبة في مجاز القرآن ١/ ٣٤٢، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٥٩، وأبي حيان ٥/ ٤٢٩، والدر المصون ٧/ ١٢٠، وورد فيها عِنَانَهُ بدلاً من زمامه، وورد منسوباً لأُنيف بن جَبَلة في اللسان (أول) ١/ ١٧٥ وليس فيه الشاهد، برواية:

أمـا إذا استقبلته فكأنه للعين جِذعٌ من أَوال مُشذَّبُ

(السُّرُحُ) السرعة، يقال ناقةٌ سرُحٌ ومُنْسرحةٌ في سيرها: أي سريعة. (أَول): بفتح أوله، قرية =

قـــال أبو عبيـــدة : «أهطع وهطـــع إذا أسرع مقبلاً خائفـــاً ، لا يكون إلا مع خـــوف»[١] ، وقال أحمد بن يحيى : «الـــمُهطِعُ الذي ينظر في ذُلٍّ وخشـــوع»[٢] ، وقال ابن جريج : «المهطع الساكت المنطلق إلى الهُتاف إذا هتف هاتِفٌ»[٣] ، وقال الليث : «يقال للرجل إذا أقرَّ وذلَّ قد أهطع»[٤] ، وأنشد :

وَنِمْرُ بْنُ سَعْدٍ لي مُطيعٌ وَمُهْطِعُ[٥]

= بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهي من قرى السِّيف ، ويشهد له قول ابن مقبل :

عَمَد الحـُداةُ بها لعَارضِ قـــريـــةٍ وكـــأنهـــا سُـــفُـــنٌ بِـــسِـــيْـــفِ أَوالِ

(الشَّذبُ) القُشورُ ، وجذعٌ مُشَذَّبٌ : أي مقشَّر ؛ إذا قَشَرْت ما عليه من الشوك ، والمِشْذَبُ : المِنْجَلُ الذي يُشْذَّبُ به .

انظر : معجم ما استعجم ١/ ٢٠٨ ، واللسان (شذب) ٤/ ٢٢١٩ ، والتاج (سرح) ٤/ ٨٥ .

(١) ليـــس في مجازه ، وورد في جمهرة اللغة ٢/ ٩١٧ بنصه تقريباً ، وتهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٩ بنصه ، وهو مصدره .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٤١ ، والدر المصون ٧/ ١٢٠ ، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢٩٤ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٦٤ ، وصديق خان ٧/ ١٣١ ، وورد في تهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٨ بنصه منسوباً لأبي الفضـــل المنذري ، وأغلـــب الظن أنه يرويها عـــن ثعلب ؛ لأن كثيراً من روايـــات ثعلب يرويها الأزهري من طريق شـــيخه أبي الفضل المنذري . انظر : مثلاً روايته لقنع عنه ، في تهذيب اللغة (قنع) ٣/ ٣٠٦١ .

(٣) ورد بنصه غير منسوب في اللسان (هطع) ٨/ ٤٦٧٤ .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٨ بنصه .

(٥) وصدره :

تَعبَّدني نِمْرُ بنُ سعدٍ وقد أُرى

ورد البيت منســـوباً إلى تُبَّع في الإتقان ٢/ ١٠١ ، وورد بلا نسبة في تهذيب اللغة (هطع) ٤/ ٣٧٦٨ ، والصحاح (عبد) ٢/ ٥٠٣ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩أ ، والماوردي ٣/ ١٤٠ ، والأساس ٢/ ٥٤٨ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٧٣ ، واللسان (عبد) ٥/ ٢٧٧٩ .

فهذه أربعة أقوال لأهل اللغة في تفسير هذا الحرف ، وأما قول المفسرين : فقال سعيد بن جبير ، والحسن ، وقتادة : «مسرعين»[١] ، وقال سعيد عن قتادة : «منطلقين عامدين إلى الداعي»[٢] ، وقال نافع بن الأزرق لابن عباس : «أخبرني عن قوله : ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ ما الإهطاع ؟ قال : النظر[٣] ، وفي ذلك يقول الشاعر[٤] :

إِذا دَعَانَا فَأَهْطَعْنا لِدَعْوَتِهِ داعٍ سَمِيعٌ فَلَفُّونَا وَسَاقُوْنا»[٥]

(١) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٣ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٣/ ٢٣٧ بلفظه عن قتادة ، وبمعناه عن سعيد ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٨ ، عن قتادة . تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٠ ، عن قتادة ، والماوردي ٣/ ١٤٠ ، عنهم ، والطوسي ٦/ ٣٠٣ عنهم ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٧ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٨ب بنصه .

(٣) ورد في الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٨٧ ، وانظر : الدر المنثور ٤/ ١٦٣ .

(٤) هو عمران بن حطان من رؤوس الخوارج ت ٨٤هـ .

(٥) ورد في إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٨٨ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٢٥٩ ، وأبي حيان ٥/ ٤٢٩ ، وورد بلا نسبة في الدر المصون ٧/ ١١٩ ، والدر المنثور ٤/ ١٦٣ . (لَفَّ) : بمعنى جمع . انظر : اللسان (لفف) ٧/ ٤٠٥٤ .

وهذا قول مجاهد والضحاك والكلبي والعوفي عن ابن عباس قالوا : «ناظرين مديمي النظر من غير أن يطرفوا»[١] ، ونحو ذلك قال أبو الضحى ؛ قال : «الإهطاع من التَّحْمِيج[٢] الذي زدتُم[٣] النظر ولا يَطْرِف»[٤] .

وهذه الأقوال توافق ما حكينا من أهل اللغة ، والجامع لهذه الأقوال قول من قال الإهطاع : إسراعٌ مع إدامة نظر[٥] .

وقوله تعالى : ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قال ابن السِّكِّيت : «أقنع رأسه إذا رفعه»[٦] ، قال النضر : «أقنع فلانٌ رأسه ؛ وهو أن يرفع بصره ووجهه إلى السماء» ، قال : «والمقنع : الرافع رأسه إلى السماء»[٧] ، وقال أحمد بن يحيى : «الإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع»[٨] .

---

(١) تفسير مجاهد : ٣٣٦ مختصراً ، ولفظه : «مديمي النَّظَر» ، أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٧ مختصراً وبنحوه عنهم ما عدا الكلبي ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٨ مختصراً ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٠ مختصراً ، والثعلبي ٧/ ١٥٩أ ، عن مجاهد قال : «مديمي النظر» ، وعن ابن عباس والضحاك قال : «شدة النظر من غير أن يطرفوا» ، وعن الكلبي قال : «ناظرين» ، والماوردي ٣/ ١٤٠ بنحوه عن ابن عباس والضحاك ، وورد في الدر المنثور ٤/ ١٦٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد .

(٢) في جميع النسخ (التجميح) ، وهو تصحيف ، والصحيح المثبت ، وهو موافق للطبري ، يقال : حَمَّجَ تحميجاً ، أي نظر بخوف ، وتحميج العينين : غؤُورُهما . انظر : المحيط في اللغة (حمج) ٢/ ٤١٨ .

(٣) في (أ) : (ررتم) ، وفي (ش) : (زُتم) ، والمثبت من (د) و(ع) .

(٤) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٧ بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٨ ، بمعناه ، انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٢٦٠ .

(٥) وهو قول أبي عبيدة ، نسبه إليه النحاس في معانيه ٣/ ٥٣٨ ، ولفظه بعد أن ذكر قولين قال : «قال أبو عبيدة : وقد يكون الوجهان جميعاً ، يعني : الإسراع مع إدامة النظر» اهـ . ولم أجده في مجازه ، والذي فيه ١/ ٣٤٢ : «مهطعين ؛ أي مسرعين» ، وكذلك نسبه إليه ابن عطية ٨/ ٢٦٠ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٦ ، وأخطأ المحقق بنسبته إلى أبي عبيد .

(٦) إصلاح المنطق ٢٣٨ بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (قنع) ٣/ ٣٠٦٠ بنصه .

(٧) تهذيب اللغة (قنع) ٣/ ٣٠٦١ ، نقله بنصه .

(٨) تهذيب اللغة (قنع) ٣/ ٣٠٦٠ ، نقله بنصه .

ومنه ما روي عن النبيّ ﷺ أنه قال : «تُقْنِع يديك في الدعاء» ؛ أي ترفعهما[١] .

وقال أبو إسحاق : «المقنع الرافع»[٢] ، وأنشد للشمّاخ :

يُبَاكِرْنَ العِضَاهَ بمُقْنَعَاتٍ نَوَاجِذُهُنَّ كَالحَدَأِ الوَقِيعِ[٣]

أراد بأفواه مرفوعات إلى العِضَاة ، يصف إبلاً ترعى الشجرَ ، شبَّه أنيابها بالفؤوس المحدُودة ، والحِدأُ الفؤوس بالكسر ، وعند الكوفيين الحَدَأُ بالفتح جمع حَدَأة ، فهما لغتان[٤] ، ونحو ما قال أهل اللغة قال المفسرون في الإقناع ؛ قالوا :

---

(١) لم أقف على هذا اللفظ ، وورد بنحوه من طريقين ، ونصه : «قال رسول الله ﷺ : الصلاة مثنى مثنى ، تشهَّدُ في ركعتين ، وتخَشَّعُ وتَضَرَّعُ وتَمْسكن ثم تُقْنِعُ يديك ، يقول : ترفعهما . .» أخرجه أحمد ١/ ٢١١ ، والترمذي : (٣٨٥) في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في التَّخشُّع في الصلاة ، كلاهما من طريق الليث بن سعد عن الفضل ابن العباس عن النبيّ ﷺ ، وأخرجه أبو داود (١٢٩٥) في كتاب الصلاة ، باب صلاة النهار ، والبيهقي في السنن : الصلاة/ صلاة الليل والنهار مثنى ٢/ ٤٨٨ كلاهما من طريق شعبة عن المطلب عن النبيِّ ﷺ ، قال الترمذي : «سمعت البخاري يقول : رواية الليث بن سعد أصح من حديث شعبة ، وشعبة أخطأ في هذا الحديث في مواضع ، ثم ذكرها» . انظر : علل الترمذي ١/ ٢٥٨ ، ٢٥٩ وقد حسّن إسناد الليث أبو حاتم في علل الحديث لابن أبي حاتم ١/ ١٣٢ ، وقال صاحب تحفة الأحوذي ٢/ ٣٢٨ : «قال ابن حجر : إسناده حسن» . والصحيح أن الحديث ضعيف كما أشار صاحب التحفة نفسه لأن مداره على عبدالله بن نافع ، وهو مجهول ، وقال البخاري : «لم يصح حديثه» . انظر : التاريخ الكبير ٥/ ٢١٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ ، بلفظه .

(٣) ديوان الشمّاخ ٢٢٠ ، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٣ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٣٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ تهذيب اللغة (حدا) ١/ ٧٥٥ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩أ ، والطوسي ٦/ ٣٠٣ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٧ ، واللسان (قنع) ٦/ ٣٧٥٦ ، وفي رواية الديوان والزَّجَّاج والثعلبي : (يُبَادِرْنَ) بدل (يباكرن) . (يباكرن) يبادرن ويعاجلن ، (العضاه) هي شجر الشوك ؛ واحدها عِضَة وعِضَهَة وعِضَاهَة . (المُقْنَعات) جمع مُقْنَع ، والمقنع من الإبل الذي يرفع رأسه خِلْقةً . (النواجذ) الأضراس . (الوقيع) المحدَّدة والمرقَّقة بالمِيْقَعة ؛ أي المطرقة . انظر : المحيط في اللغة (عضة) ١/ ١٠٩ ، واللسان (قنع) ٦/ ٣٧٥٤ .

(٤) انظر : إصلاح المنطق ١٤٩ ، والمنتخب من غريب كلام العرب ١/ ٣٣٣ ، وجمهرة اللغة ٢/ ١١٠٧ ، وتهذيب اللغة (حدا) ١/ ٧٥٤ ، والمحكم لابن سيده : (حدأ) ٣/ ٣١١ ، والعباب الزاخر : أ/ ٤٠ .

﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ : رافعي رؤوسهم ، وهو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد[١] ، قال الحسن : «وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد»[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ ؛ أي لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر ؛ فهي شاخصة . والطَرْفُ تحريك الجفون في النظر ، يقال : شخص بصره فما يَطْرِف[٣] ، والطرْفُ اسم جامع للبصر لا يُثَنَّى ولا يُجمع[٤] .

وتأويل قوله : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ ؛ أي نظرهم إلى شيء واحد ، فكأن ذلك الشيء الذي ينظرون إليه قد ذهب بنظرهم نحوه ؛ فليسوا ينظرون إلى غيره ، هذا معنى قولنا : لا يرجع إليهم نظرهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء : «يريد خرجت القلوب من مواضعها فصارت في الحناجر»[٥] ، ونحو هذا قال قتادة : «انتزعت حتى صارت في حناجرهم»[٦] ، فعلى هذا ، الأفئدة : أريد بها مواضع القلوب ،

---

(١) تفسير مجاهد ٣٣٦ بنصه ، أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٣ بنحوه عن قتادة ، والطبري : ١٣/ ٢٣٨ ، ٢٣٩ بنصه عن الضحاك وابن عباس من طريق العوفي ضعيفة ، وبنحوه عن مجاهد وقتادة وابن زيد .
وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٣٨ بنحوه عن مجاهد وقتادة ، والماوردي ٣/ ١٤١ بنصه عن ابن عباس ومجاهد .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٣٩ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩أ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٩ ، وابن عطية ٨/ ٢٦٠ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٧ ، والخازن ٣/ ٨٥ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (طرف) ٣/ ٢١٨٠ بنصه ، وهو قول الليث ، وانظر : المحيط في اللغة (طرف) ٩/ ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق بنصه .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٥ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧١ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٧٤ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٣ ، بمعناه ، والطبري ١٣/ ٢٤١ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩ب =

وذهب قوم من أهل اللغة إلى الفرق بين القلب والفؤاد ؛ فقال الليث : «القلب مضغةٌ من الفؤاد معلَّقة بالنيَّاط»[١] .

وقال النبيُّ ﷺ : «أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ قلوباً وألينُ أفئدة»[٢] ، فوصف القلوب بالرقّة والأفئدة باللين ، وكأن القلب أخصُّ من الفؤاد ، ولذلك قالوا : أصبت حبة قلبه[٣] ، والهواء : ما بين السماء والأرض[٤] ، والعرب تسمّي كل خالٍ هواء[٥] ، يقولون : بيت هواء ، إذا كان خالياً قَفْراً لا شيء فيه ، والمعنى في الآية : أن قلوبهم ارتفعت إلى حناجرهم من فزع ذلك اليوم وهوله ، وبقي موضعها

= بنصه ، والماوردي ٢/ ٣٤٣ بنحوه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٤ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(١) ورد في تهذيب اللغة (قلب) ٣/ ٣٠٢٦ بنصه . والنياط : عِرقٌ غليظٌ معلق بالقلب . انظر : المحيط في اللغة (نوط) ٩/ ٢٢٠ .

(٢) أخرجه بنحوه عن أبي هريرة أحمد ٢/ ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٨٠ ، والبخاري (٤٣٨٨) في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين ، والبخاري في التاريخ الكبير ١/ ١٥٩ ، ومسلم (٥٢) في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان ورجحان أهل اليمن فيه ١/ ٧٢ ، والبيهقي في السنن في كتاب الصلاة ، باب ما يستدل به على ترجيح قول أهل الحجاز وعملهم ١/ ٣٨٦ ، وورد في تهذيب اللغة (قلب) ٣/ ٣٠٢٦ بنصه ، ومشكاة المصابيح : المناقب ، ذكر اليمن والشام ٣/ ١٧٦٥ ، وكنز العمال ١٢/ ٤٧ كلاهما عزاه للصحيحين . ويُرَدّ على الواحدي في استدلاله بالحديث على أن القلب أخص من الفؤاد- لوصف الحديث القلوب بالرقة والأفئدة باللين ، أن الروايات كلها التي وقفت عليها والتي جمعت بين القلوب والأفئدة إنما وصفت القلوب باللين والأفئدة بالرقة ؛ أي عكس ما ذكر ، ولم يوصف القلب بالرقة إلا في روايتين لأحمد ورواية للبخاري في تاريخه ، وهذه الروايات ذكرت القلب وحده ، فلا شاهد فيها ، بل ذهب النووي إلى عكس قول الواحدي ؛ فجعل الفؤاد أخص من القلب ، فقال : «وقيل الفؤاد غير القلب ، وهو عين القلب وقيل باطن القلب وقيل غشاء القلب» . انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٣٤ ، ولعل سبب مخالفة رواية الواحدي لروايات كتب السنة التي ذُكِرت ، أنه قد اعتمد في نقل هذا الحديث والتعليق عليه على كتاب تهذيب اللغة ؛ وكتب اللغة ليست دقيقة في نقل الأحاديث كالكتب المتخصصة .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (قلب) ٣/ ٣٠٢٦ بنصه .

(٤) انظر : الصحاح (هوى) ٦/ ٢٥٣٧ ، واللسان ٨/ ٤٧٢٦ .

(٥) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٣/ ٢٤١ ، والثعلبي ٧/ ١٥٩ب .

هواء لا شيء فيه كهواء ما بين السماء والأرض ، ولهذا المعنى قالوا للجبان : مُجوَّفٌ هواء ، أي إنه لا قلب له ، ومنه قول حسان :

فَأَنْتَ مُجوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ[١]

وقال زهير يصف ناقة :

كَأَنَّ الرَّحْلَ مِنْها فَوقَ صَعْلٍ مِنَ الظِّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَواءُ[٢]

أي لا قلب في صدره فهو خال ، وذهب آخرون إلى أن معنى الآية : أن قلوبهم عما ذهلوا من الفزع خلت عن العقول ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية العوفي ، وبه قال مجاهد ، ومُرَّة ، وابن زيد ، واختاره الأخفش ؛ فقال في قوله : ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ «أي جَوْفٌ لا عقول لها ولا خير فيها»[٣] ، وعلى هذا

---

(١) وصدره :

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عني

ديوان حسان ٩ ، وورد في مجاز القرآن ١/ ٣٤٤ ، وتفسير الطبري ١٣/ ٢٤١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٤١ ، وتهذيب اللغة (جاف) ١/ ٥٢٢ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩ب ، والماوردي ٣/ ١٤١ ، والزمخشري ٢/ ٣٠٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧١ ، وابن عطية ٨/ ٢٦٢ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٧ ، والبقاعي ٤/ ١٩٤ ، والعباب الزاخر : ف/ ٧٧ . (المُجوَّف) الجبان الذي لا قَلْب له ، كأنه خالي الجوف من الفؤاد ، (النَّخْبُ) الضعف ، يقال رجلٌ نَخِبُ الفؤاد ومَنْخُوبٌ ؛ أي جبان . انظر : المحيط في اللغة (نخب) ٤/ ٣٦١ ، واللسان (جوف) ٢/ ٧٢٨ . وفي هذا البيت يصف حسّانُ أبا سفيان بالجبن والضعف ، وأغلب الظن أنه كان قبل أن يسلم رضي الله عنهما .

(٢) شرح ديوان زهير ٦٣ ، وورد البيت في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ ، مع اختلاف يسير في كلمتين : (الظلماء) و(جؤجؤها) ، ومعاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٤٠ ، وتفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩ب ، والزمخشري ٢/ ٣٠٧ (عجزه) ، وابن عطية ٨/ ٢٦٢ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٨ ، وأبي حيان ٥/ ٤٣٠ ، والدر المصون ٧/ ١٢٣ . (الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب عليه ، (الصَّعْل) الدقيقُ العُنُق الصغيرُ الرأس ، (الظلمان) جمع ظليم وهو ذَكَر النَّعام ، (جؤجؤه) صدره ، (هواء) لا مخَّ فيه ، وقال الأصمعي : «جؤجؤه هواء : أي أنه مُنْتَخَبُ العقل (أي جبان) وإنما أراد أنه لا عقل له ، وكذلك الظَّليمُ هو أبداً كأنه مجنون» .

(٣) لم أجده في معانيه ، وورد في تفسير الثعلبي ٧/ ١٥٩ب بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٥٩ .

القــول ، المراد بالأفئدة القلوب ، وهو الصحيح في اللغة[١] ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء :٣٦] يعنــي القلب ، وقال امرؤ القيس :

رَمَتْني بِسَهْــمٍ أَصَــابَ الفُــؤادَ غَــداةَ الرَّحِيــلِ فَلَــمْ أَشْــهَر

يعني أصاب قلبي ، الأزهري : «ولم أرهم يفرقون بينهما»[٢] ، ويحتاج في هذا التفسير إلى تقدير المضاف ؛ كأن المعنى : وأفئدتهم ذات هواء ؛ أي خالية .

٤٤. قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ هذا عطف على قوله : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا﴾ لأنــه قد تمَّ وصف الكفار وحالهم عند البعث في القيامة ، ثم عاد إلى خطاب النبيّ ﷺ وأمــره بالإنذار فقال : ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ قال ابن عباس : «يعنــي أهل مكة»[٣] ، قال : «ولو أن أهل مكة اتبعوا النبي ﷺ ما اختلف عليه اثنان» ، قال : «ويقال لو آمن الوليد بن المغيرة ما تخلَّف عن رسول الله ﷺ أحد» .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ (يوم) مفعول به ، والعامل فيه أنذرهم ؛ كــما يقول : خوّفه العقاب وخوّفه الهلاك ، ولا يكــون على الظرف ؛ لأنه لم يؤمر بالإنذار في ذلك اليوم[٤] .

---

(١) وهذا القول هو الذي رجحه الطبري ١٣/ ٢٤١ ، وأيَّده ببيت حَسَّان السابق .

(٢) لم أجده في تهذيب اللغة ، وكلامه هذا يتناقض مع استشهاده بحديث : «أتاكم اهــل اليمن» ؛ حيث فــرق بين القلب والفؤاد ، إلا أن يكون هذا من كلام الواحدي ، وكلمة الأزهري صفة للقلب لا أنها علم ، وهو محتمل .

(٣) ورد في تفســيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٥ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٢ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٧٨ ، والأولى حمل الآية على العموم ، لعدم وجود مخصص .

(٤) انظر : البيان في غريب الإعراب ٢/ ٦١ ، والإملاء ٢/ ٧٠ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٧٤ .

وقولــه تعالى : ﴿فَيَقُولُ﴾ عطــف على ﴿يَأْتِيهِمُ﴾ ؛ يعنــي : فيقولون في ذلك اليوم ، ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ قــال ابن عباس : «يريد أشركــوا»[١] ، ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ اســتَمْهَلوا مدةً يســيرة لكي يجيبوا الدعوة ويتبعوا الرســل ، قال ابن عباس : «يريدون الرجعة إلى الدنيا» ، وهذا معنى وليس بتفسير ، وذلك أنهم لما استَمهَلوا للإجابة صار كأنهم قالوا : أرجعنا إلى الدنيا أياماً ؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف ، وإنما كُلِّفوا الإجابة في دار [الدنيا فيجابون عن هذا الاســتمهال ، ويقــال لهــم : ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن][٢] زَوَالٍ﴾ قال مجاهد : «أي من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة[٣] ؛ أي لا تبعثون» .

قــال ابن عباس : «يريــد حلفتم في الدنيا أنكم لا تبعثــون»[٤] ، وهو قوله : ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل :٣٨] .

٤٥. قولــه تعــالى : ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ قال المفسرون : يعني الأممَ الكافرة قبلهم ؛ قومَ نوح وعاد وثمود ، ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية[٥] ، وهذا احتجاج عليهم ؛ يقول : كان ينبغي أن ينزجروا ويرتدعوا اعتباراً بمساكنهم ، بعد ما تبيَّن لكم كيف فعلنا

---

(١) انظر : تنوير المقباس ٢٧٤ ، بلفظه ، وورد غير منســوب في تفســير السمرقندي ٢/ ٢١٠ ، والبغوي ٤/ ٣٥٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٢ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٣) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٤٢ بنصه ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٤٢ بنصه ، والطوسي ٦/ ٣٠٥ . وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٦ ، والألوسي ١٣/ ٢٤٨ .

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٢ .

(٥) أخرجــه الطبري ١٣/ ٢٤٣ بنحوه عن قتادة ، وبمعناه عن ابن زيد ، وورد في الســمرقندي ٢/ ٢١٠ بنحوه ، والثعلبي ٧/ ١٤٩ب بنصه ، وانظر : تفســير البغــوي ٤/ ٣٦٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٢ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٤٣ .

بهم ، ﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ قال ابن عباس : «يريد الأمثال التي في القرآن»[١] .

٤٦. قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ ﴾ [يعني مكرهم بالنبيِّ ﷺ وما همُّوا به من قتله أو نفيه[٢] . ﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾[٣] ؛ أي قد عرف الله مكرهم ، وهو عالم به لا يخفى عليه ما فعلوا ، فهو يجازيهم عليه ، وقال أبو علي : «وعند الله جزاءُ مكرِهم فحذف المضافَ كما حُذف من قوله : ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ﴾ [الشورى :٢٢] ؛ أي جزاؤه» .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ (إن) هاهنا يعني بها : ما ، واللام المكسورة بعدها يعني بها الجحد ، ومن سبيلها نصبُ الفعل المستقبل ، والنحويون يسمونها لام الجحود[٤] ، ومثله قوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ ﴾ ، و﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ﴾ [آل عمران :١٧٩] ، والجبال هاهنا مَثَلٌ لأمر النبيّ ﷺ وأمرِ دين الإسلام وأعلامِه ودلالتِه ، على معنى أن ثبوته كثبوت الجبال الراسية ؛ لأن الله تعالى قد وعد نبيه ﷺ إظهار دينه على كل الأديان ، ويدل على صحة هذا المعنى قوله بعدُ : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ ؛ أي[٥] فقد وعدك الظهور عليهم والغلبة لهم . ومعنى الآية : وما كان مكرهم ليزول منه ما

---

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٢ بنصه .

(٢) انظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٢١١ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٤ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٤٤ ، والخازن ٣/ ٨٥ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) ، (ع) .

(٤) هي لام زائدة بعد كون منفي ـ كان يكون ـ فينُصبُ المضارعُ بعدها بـ (أنْ) المضمرة ، وهي حرف مبني على الكسر لا محل له من الإعراب ، ويسميها سيبويه (لام النفي) ولها عدة شروط .
انظر : المغني ٢٧٨ ، والشامل ١٩٦ ، ومعجم القواعد العربية للدقر ٤٠٠ .

(٥) ساقطة من (ش) و(ع) ، وهي ثابتة في المصدر ؛ الحجة للقراء ٥/ ٣٣ .

هو مثلُ الجبال في امتناعه ممن أراد إزالته[١] ، هذا الذي ذكرنا معنى قول الحسن : كان مكرُهم أوهنَ وأضعفَ من أن تزول منه الجبال[٢] ، قال : و(إن) هاهنا بمعنى (ما)[٣] ؛ كقوله : ﴿لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[٤] [الأنبياء :١٧] وقوله : ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾[٥] [الأحقاف :٢٦] وهو كثير ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق[٦] وأبي بكر وأبي علي[٧] .

قال أبو علي : «وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا ، في تعظيم الشيء وتفخيمه[٨] ، قال ابن مُقبل :

إذا مِتُّ عَنْ ذِكرِ القوافي فَلَنْ تَرَى ... لَهـا شَاعِراً مِثلي أَطَبَّ وَأَشْعَرَا

وَأَكْثَرَ بَيْتاً شَاعِراً ضُرِبَتْ به ... بُطُونُ جِبَالِ الشِّعْرِ حتَّى تَيَسَّرا[٩]

---

(١) نقل طويل من الحجة للقراء ٥/ ٣١ـ٣٣ من قوله : قال أبو علي ، تصرف فيه بالاختصار والتوضيح ، والتقديم والتأخير .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٤٧ بنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٤٣ بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٦٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٥ ، وعزاه إلى ابن الأنباري .

(٣) لم يقل الحسن ـرحمه اللهـ هذا بلفظه ، إنما ذكر الأمثلة التي دلت على معنى ذلك . انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٧ .

(٤) أي ما كنا فاعلين . (المصدر السابق) .

(٥) أي ما مكناكم فيه . (المصدر السابق) .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٦ ، وهو اختيار الطبري ١٣/ ٢٤٧ ، وقد صوّبه وأيّده بعدة أمور ، انظرها .

(٧) الحجة للقراء ٥/ ٣١ .

(٨) الحجة للقراء ٥/ ٣٣ بنصه .

(٩) ديوان ابن مقبل ١٣٦ وفيه : (لها تالياً) بدل (لها شاعراً) ، (ماراداً) بدل (شاعراً الثانية) ، (له) بدل (به) ، (حُزُون) بدل (بُطُون) ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ٣٣ ، والحلبيات ١٩٧ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٠٧ ، والشعر والشعراء ٢٩٨ ، وفيه : (تالياً بعدي) بدل (شاعراً مثلي) ، والبيت الثاني يختلف كثيراً ، وأمالي ابن الشجري ١/ ١٠٨ ، وفيه : (حبال) بدل (جبال) ، ودلائل الإعجاز للجرجاني ٣٩١ ، =

فاستعار للشعر جبالاً» ؛ يريد امتناعه على من أراده . هذا الذي ذكرنا معنى قراءة العامة[١] ، وقرأ الكسائي : (لَتزولُ) بفتح اللام الأولى وضم الثانية[٢] ، وعلى هذه القراءة معنى قوله : ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾ يعني الأمم الكافرة من قبل ؛ وهم الذين ذُكروا في قوله : ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وهو معنى قول ابن عباس : «يريد ما مكر نمرود بإبراهيم» ، يجوز أن يعني أيضاً مكر الكفار بالنبيّ ﷺ كما ذكرنا ، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ معنى (إنْ) على هذه القراءة المخففة من الثقيلة ، قاله أبو علي[٣] .

وقال أبو بكر : «(إنْ) مع اللام يعني بها هاهنا : (قد) ؛ كما يقول العربي : إنْ كان عبدالله لَيزورنا ، يريد : قد كان ، واللام في : ﴿لِتَزُولَ﴾ لام الجواب ، والمستقبل بعدها مرفوع ، والمعنى قد كانت الجبال تزول من مكرهم على تعظيم أمر مكرهم ؛ كقوله : ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا﴾ [نوح :٢٢]» .

وقال أبو إسحاق : «وإن كان مكرُهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال ، فإن الله ينصرُ دينه»[٤] ، فإن قيل هذه القراءة على ما ذكرتم يُوجب أن الجبال قد زالت بمكرهم وهل كان ذلك ؟

= وفيه : (قائلاً بعدي) بدل (شاعراً مثلي) ، وفي البيت الثاني : (سائراً) مكان (شاعراً) ، و(حُزون) مكان (بُطون) ، ومعنى (أطب) أعْرَف . ومعنى (مارداً) : المارد العاتي الشديد ، ويريد به الجيد السائر ، (حُزُون) : جمع الحزن ؛ وهو ما غلظ من الأرض في ارتفاع وخشونة .

(١) انظر : السبعة ٣٦٣ ، وعلل القراءات :١/ ٢٩٠ ، وإعراب القراءات وعللها ١/ ٣٣٧ ، والحجة للقراء ٥/ ٣١ ، والتيسير ١٣٥ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧١٣ ، والنشر ٢/ ٣٠٠ ، والإتحاف ٢٧٣ .

(٢) المصادر السابقة .

(٣) الحجة للقراء ٥/ ٣٢ بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٧ بنصه .

والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما لأهل المعاني ، والثاني للمفسرين ؛ أما أهل المعاني فإنهم قالوا : هذا مبالغة في وصف مكرهم بالعظيم ، وإن لم يكن جبلٌ قط زال لمكرهم ، فهذا على مذهب العرب في المبالغة ؛ يقول : وإن كان مكرُهم قد بلغ من كِبَرِه وعِظَمِه أن يُزيلَ ما هو مثل الجبال في الامتناع على من[١] أراد إزالتَه ثباتُها ؛ كأنه قيل : لو أزال مكرُهم الجبال لما أزال أمرَ الإسلام .

يدل على صحة ما ذكرنا قراءةُ جماعة من الصحابة : (وإن كاد مَكْرُهم لَتَزولُ) بالدال[٢] ، أي[٣] : قد قاربت الجبال أن تَزولَ ، وهذا معنى قول أبي إسحاق[٤] وأبي بكر[٥] وأبي علي[٦] ؛ قال أبو علي : «ومثل هذا في تعظيم الأمر قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً في السَّمَاءِ مُبَيِّناً عَلى ابْنِ لُبَيْنى الحارِثِ بْنِ هِشَامِ[٧]

وهذا ليس على أنه شوهد صدع في السماء ، ولكنه مبالغة على معنى أن الأمر قد قرب من ذلك ، ومثله كثير في الشعر» ، وذكر ابن قتيبة باب ما أفرطت الشعراء

---

(١) في جميع النسخ (ما) والتصويب من الحجة للقراء ٥/ ٣٢ ليستقيم الكلام .

(٢) قرأ بها عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وأنس بن مالك ، وابن عباس ، وأُبي بن كعب رضي الله عنهم ، وهي قراءة شاذة .
انظر : تفسير الطبري ١٣/ ٢٤٥ ، وإعراب القرآن للنحاس :٢/ ١٨٧ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه ٧٤ ، والمحتسب ١/ ٣٦٥ ، وإعراب القراءات وعللها ١/ ٣٣٧ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٤ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٨٠ .

(٣) ساقطة من (أ) و(د) .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٧ .

(٥) لم أقف على مصدره ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٤ ، مختصراً .

(٦) الحجة للقراء ٥/ ٣٢ .

(٧) ورد بلا نسبة في الحجة للقراء ٥/ ٣٢ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٠٧ ، وأبي حيان ٦/ ٢١٨ .

في وصفه ، وأنشد أبياتاً كثيرة ، ثم قال : «وهذا كله على المبالغة في الوصف» ، وينوون في جمعه[١] : يكاد يفعل[٢] ، وأنشد أبو إسحاق قول الأعشى :

لَئِنْ كُنْتَ في جُبٍّ ثَمانينَ قامَةً ... وَرُقِّيتَ أَسبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ

لَيَسْتَدْرِكَنَّكَ الْقَوْلُ حَتَّى تَهِرَّهُ ... وَتَعْلَمَ أَنِّي عَنْكُمُ غَيْرُ مُنَجِّمِ[٣]

قال : «فإنما بالغ في الوصف ، وهو يعلم أنه لا يُرَقَّى[٤] أسبابَ السماء»[٥] .

وقال أبو بكر في قول الأعشى : «تأويله لئن كنت في ما تَقْدِر ويُقَدَّر لك في قعر الأرض أو في السماء ، لَيَصلنَّ إليك مني ما تكره» . لذلك معنى ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ : عند أنفسهم وفي ما يقدِّرون ، فليس ينفعهم ذلك إذا كان الله قد وعد على ألسنة رسله ظهورَ الحق على الباطل .

---

(١) هكذا في النسخ جميعها ، ويحتمل أنها (جميعه) ؛ أي في جميع ما ذكروا ، وعلى المثبت أي ينوون في جمعه ، من الجمع وإن كان مفرداً .

(٢) لم أقف عليه في كتبه المطبوعة .

(٣) ديوان الأعشى ٨٢ ، ورواية البيت الثاني تختلف عن الديوان ، وهي :

لَيَسْتَدْرِجَنْكَ القولُ حتى تَهِرَّهُ ... وَتَعْلَمَ أني عنكَ لستُ بمُلْجَم

وورد البيت الأول فقط في الكتاب ٢/ ٢٨ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٠٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٧ ، وشرح المفصل ٢/ ٧٤ ، واللسان (ثمن) ١/ ٥٠٩ ، و(رقا) ٣/ ١٧١١ .

(تهرَّه) : يقال هرَّ الشيء يهُره ويهِره هرّاً وهريراً ؛ أي كرِهَهُ ، (مُنَجِّم) : اسم فاعل من التنجيم ، وهو الناظر في النجوم للتفكر والتدبر ، وهو أيضاً ادعاء علم الغيب بالنظر في النجوم ، وهو أيضاً التجزيء ؛ ومنه قولهم نزل القرآن منجماً . وعلى هذه الرواية يكون المعنى : إنَّ تهديدي لك ليس رجماً بالغيب كما هو قول المنجِّم . (ملجم) من اللجام وهو معروف ؛ وهو حبل أو عصا تُدخل في فم الدابة وتلُزق إلى قفاه ، والممسك عن الكلام مُمَثَّلٌ بمن ألجم نفسه بلجام ، وعلى هذه الرواية ، المعنى : إن لساني غير ملجم عنك ؛ لأنها من قصيدة قالها يهجو عمير بن المنذر . انظر : اللسان (لجم) ٧/ ٤٠٠٢ ، و(هرر) ٨/ ٤٦٥٠ ، و(نجم) ٧/ ٤٣٥٨

(٤) في (أ) و(د) : (لا يرقك) ، وفي (ش) و(ع) : (لا تزول) والتصويب من المصدر .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٨ بنصه .

وأما المفسرون فإنهم ذهبوا إلى قصة نمرود مع التابوت والنسور ، وأن الجبال حين سمعت حفيف النسور والتابوت عند هبوطها ظنت أن ذلك أمرٌ من الله تعالى عظيم ، وأن الساعة قد قامت ففزعت وزالت ، وهذا يُروى عن علي -رضي الله عنه- ومجاهد وعكرمة[١] .

قال مجاهد : «كان ذلك بختنصر»[٢] .

٤٧. قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ قال الفرَّاء : أُضيفت ﴿ مُخْلِفَ ﴾ إلى الوعد ونُصبت الرسلُ على التأويل ؛ لأن الإخلاف قد يقع بالوعد كما يقع بالرسل ، فيقول أخلفت الوعدَ وأخلفت الرسلَ[٣] ، وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين مثل : كَسَوْتك

---

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، مفصلاً عن علي ومجاهد من طرق ، وورد مفصلاً في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١١ عن علي ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٥٤ عن عكرمة ، وانظر : تفسير البغوي ٤/ ٣٦٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٣ ، ومابعدها ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٨١ ، وابن كثير ٢/ ٥٩٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وابن الأنباري عن علي رضي الله عنه . وهذه القصة ظاهرة الوضع أو أنها إسرائيلية ، إذ لم يرو فيها حديث مرفوع إلى النبيّ ﷺ بل وردت الروايات موقوفة على علي -رضي الله عنه- بطرق مضطربة وبأسانيد فيها جهالة ، كما أنها ليست من الطرق المشهورة عن علي -رضي الله عنه- فضلاً أن تكون من الصحيحة ، ولعل هذا سبب نفي ابن عطية : صحة نسبتها لعلي -رضي الله عنه- كما ضعفها من جهة المعنى ، فقال : «وذُكر ذلك عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وذلك عندي لا يصح عن علي ، وفي هذه القصة كلها ضعف من طريق المعنى ، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وُصف ، وبعيد أن يُغرِّر أحد بنفسه في مثل هذا» (٨/ ٢٦٥) . وقد انتقد الزَّجَّاج هذه القصة من قبل فقال : «وقيل هذا في قصة النمرود بن كنعان ، ولا أرى لنمرود هاهنا ذكراً» . معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٧ ، وكذلك نقل الرازي تضعيفها ، فقال : «قال القاضي لم أقف عليه ، وهذا بعيد جدّاً ؛ لأن الخطر فيه عظيم ولا يكاد العاقل يقدم عليه ، وما جاء فيه خبر صحيح معتمد ، ولا حجة في تأويل الآية ألبتة» . تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٤٤ .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٤٤ مفصلاً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٤ ، وابن كثير ٢/ ٥٩٦ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٣) يقول الزمخشري في تفسيره ٢/ ٣٠٧ : «فإن قلت هلا قيل مخلفَ رسلِه وعدَه ، ولِمَ قدَّم المفعول الثاني =

الثوبَ وأدخلتك الدار ، فابـدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ؛ تقول : هو كاسي عبدالله ثوباً ، ومدخله الدارَ ، ويجوز : هو كاسي الثوبِ عبدالله ، ومدخل الدارِ زيداً ؛ لأن الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبدالله فيقول : أدخلت الدار ، وكسوت الثوب ، ومثله قول الشاعر[١] :

تَرَى الثَّوْرَ فيها مُدخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَـائِرُهُ بَادٍ إِلى الشَّـمسِ أَجْمَعُ[٢]

أي مدخل رأسـه الظلَّ ، فقلـب وأضاف مُدخلَ إلى الظـلِّ [لأن الظل][٣] التبس برأسـه[٤] ، فصار كل واحد منهما داخـلاً في صاحبه[٥] ، قال ابن عباس : «﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾ : يـا محمـد ، ﴿ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ يريـد النصر والفتح وإظهار الدين»[٦] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ قال : «يريد : أن الله منيع شـديد الانتقام» . ومعنى الانتقام الجزاء بما كان من السيئات .

= على الأول ؟ قلت : قدَّم الوعد ليُعلمَ أنه لا يخلف الوعد ، ثم قال : ﴿ رُسُلَهُۥٓ ﴾ ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف المواعيد ، كيف يخلفه رُسلَهُ الذين هم خيرته وصفوته ؟ !» .

(١) لم أقف عليه ، والبيت من الخمسـين بيتاً التي لم يعرف لها قائل . ذكره عبدالسلام هارون محقق الكتاب ١/ ١٨١ ، بالحاشية .

(٢) ورد البيـت في المصادر الآتية ، الكتاب ١/ ١٨١ ، وتأويل مشـكل القرآن ١٩٤ ، وتفسـير الطبري ١٣/ ٢٤٨ ، وابن عطية ٨/ ٤٧٨ ، ووَضَح البرهان في مشكلات القرآن ١/ ٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٨٢ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٧٧ ، وتفسـير أبي حيـان ٥/ ٤٣٩ ، والدر المصون ٧/ ١٢٨ ، والخزانة ٤/ ٢٣٥ ، والدرر اللوامع ٦/ ٣٧ برواية (أكتع) بدل (أجمع) . والبيت وصف لهاجرة ألجأت الثيران إلى كُنُسها ، فهي تدخل رؤوسها في الظل لما تجده من شدة القيظ وسائر جسدها بارز للشمس .

(٣) ما بين المعقوفين من (ش) وساقط من باقي النسخ .

(٤) يقول الأعلم : «كان الوجه أن يقول : مُدخلَ رأسـه الظلَّ ؛ لأن الرأس هو الدّاخل في الظل ، والظل هو المدخل فيه» . الدرر اللوامع ٦/ ٣٧ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٧٩ ، نقل طويل مع تصرف يسير .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٧ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٥ .

٤٨. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ الآية. ذكر الزَّجَّاج في نصب (يوم) وجهين؛ أحدهما: أنه صفة لقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[1]، والآخر: أنه على معنى ينتقم يوم تبدل[2]، وذكرنا في قوله: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء: ٥٦] أن التبديل يقع على معنيين؛ أحدهما: تبديل العين إلى غيره، والثاني: تبديل الصورةِ والعين قائمة، وقد ذُكر المعنيان في هذه الآية، قال ابن عباس: «الأرض هي تلك الأرض، وإنما تُبدل آكامُها وجبالها وأشجارها»[3]، ثم أنشد[4]:

فَما النَّاسُ بِالنَّاسِ الَّذينَ عَهِدتُهُمْ ... وَلا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتي كُنْتُ أَعْرِفُ[5]

ونحو هذا روى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «يبدل الله الأرض غير الأرض فيبسطها[6] ويمدُّها مدَّ الأديم العُكاظيِّ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً»[7].

---

(١) وتقديره: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ ذكره الزَّجَّاج.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٩ بمعناه، حيث قال: «وإن شئت أن يكون منصوباً بقوله: (ذو انتقام)».

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٤ب بنصه، وانظر: تفسير الزمخشري ٢/ ٣٠٨، والفخر الرازي ١٩/ ١٤٦، والفريد في الإعراب ٣/ ١٧٨، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٣٩، والدر المصون ٧/ ١٣٠، وتفسير أبي السعود ٥/ ٦٠.

(٤) نُسب إلى ابن عباس في المصادر السابقة عدا تفسير الفخر الرازي، ونُسب إلى عبدالله بن شبيب في مجالس ثعلب ٤٩.

(٥) المصادر السابقة نفسها، وتختلف رواية مجالس ثعلب في العجز، وهي:
وما الدهر بالدهر الذي كنت تعرف.

(٦) في النسخ جميعها (فينبشها) والتصويب من الطبري والثعلبي وباقي المراجع.

(٧) الحديث جزء من حديث الصور الطويل، أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥٢، مختصراً، والطبراني في معجمه الكبير ٢٥/ ٢٦٦، مطولاً، والبيهقي في البعث ٣٣٨، مطولاً، وطرفه: «إن الله -عز وجل- لمَّا فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور»، وأورده الثعلبي ٢/ ١٤٤ب، مختصراً، وابن كثير ٢/ ١٦٣، مطولاً، وورد مختصراً في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٥، والفخر الرازي ١٩/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٨٣، وابن كثير ٢/ ٥٩٩، وأبي السعود ٥/ ٦٠، وحاشية الجمل على الجلالين ٢/ ٥٣٤، والحديث ضعيف، وقد ضعفه ابن كثير رحمه الله ٢/ ١٦٧ ووصفه بالنكارة؛ بسبب =

وقال الحسن : «هي هذه الأرض إلا أنها تُغيَّر إلى صورة أخرى»[١] .

وأما تبديل السموات فقال ابن عباس في رواية أبي صالح : «وتبديل السموات بأن يزاد فيها وينقص منها»[٢] .

وقال ابن الأنباري : «باختلاف هيئتها ؛ كما ذكر الله تعالى أنها مرة كالمهل[٣] ، وتكون كالدهان»[٤] ، وعلى هذا القول معنى التبديلِ في الآية : تبديلُ الصورةِ باختلاف الهيئةِ ، والعينُ كما هي ، كما تقول : قد بدلت قميصي جُبة ؛ أن تقلبَ العينَ من حال إلى حال أخرى ، وهو اختيار أبي إسحاق ، قال : «قد يقول : بَدَّل زيدٌ ، إذا تغيرت حاله» ، فمعنى تبديل الأرض : تسيير جبالها وتفجير بحارها ، وكونها مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ، وتبديل السموات : انتثار كواكبها وانفطارها ، وتكوير شمسها وخسوف قمرها .

قال : «وقوله : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ ؛ أي وتبدل السمواتُ غيرَ السموات»[٥] ، ومثله قال أبو علي : قال : «وهو كقوله ﷺ : لا يُقتل مؤمنٌ بكافر ولا ذو عهد في عهده»[٦][٧] .

= تفرد إسماعيل بن رافع وهو منكر الحديث ، وأكده أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ فقال : «هو حديث ظاهر النكارة» . انظر : عمدة التفسير ١/ ٧٨٨ حاشية (٢) . (العكاظي) نسبة إلى سوق عكاظ ، (العوج) ما اعوج يميناً وشمالاً ، (الأمت) ما يرتفع مرة ويهبط أخرى . غريب اليزيدي ٢٥٠ .

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٤٥ ، بمعناه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٣٠٩ بنصه .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٥ ، لكن جعله تفسيراً لتبديل الأرض لا السماء ، حيث قال : «إنها تلك الأرض ، وإنما يزاد فيها وينقص منها» ، وكذلك أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٦٨ ، وعزاه إلى البيهقي في البعث ، ولم أجده .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [المعارج :٨] .

(٤) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن :٣٧] .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٦٩ بنصه .

(٦) المسائل الحلبيات ٧٤ بنصه دون ذكر الحديث .

(٧) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه في باب قود المسلم بالذميِّ ١٠/ ٩٩ بنحوه عن الحسن مرسلاً ، =

المعنى : ولا ذو عهد في عهده بكافر ،كما كان التقدير في الآية ؛ والسموات غير السموات ، وذهب قوم إلى تبديل العين ، فقال ابن مسعود : «تبدل بأرض كالفضة بيضاء نقية ، لم يُسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة»[١] ، ونحو ذلك قال ابن عباس في رواية الكلبي وعطاء[٢] .

يؤكد هذا ما روى سَهْل بن سَعد عن رسول الله ﷺ قال : «يُحْشرُ الناسُ يوم القيامة على أرض بيضاء عَفْراءَ كَقُرْصَةِ النَّقيِّ ليس فيها معلم لأحد»[٣] .

= وأبو داود (٤٥٣٠) في كتاب الديات ، باب إيقاد المسلم بالكافر (٢٧٥١) ، في كتاب الجهاد ، باب في السرية ترد على أملى العسكر ، بنصه ، وابن ماجه (٢٦٥٨) في كتاب الديات ، باب لا يقتل مسلم بكافر ، واللفظ له ، والنسائي ٨/ ١٩ ، في كتاب القَسامة ، باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس ، بنصه ، والحاكم ٢/ ١٤١ ، في كتاب الفيء ، باب لا يقتل مؤمن بكافر ، بنصه ، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن ٨/ ٢٩ ، في كتاب الجنايات ، باب في مَن لا قصاص بينه باختلاف الدين بنحوه ، كلهم عن علي إلا ابن ماجه عن ابن عباس ، وذكره الألباني في صحيح أبي داود : (٢٧٥١) ، (٤٥٣٠) ، وصحيح النسائي ٣/ ٩٨٤ ، وصحيح ابن ماجه : (٢٦٥٨) .

(١) أخرجه بنصه عبدالرزاق ٢/ ٣٤٤ ، موقوفاً على عمرو بن ميمون راوي الحديث عن ابن مسعود والطبري ١٣/ ٢٥٠ ، من طرق ، والطبراني في الكبير ٩/ ٢٣٢ ، والحاكم ٤/ ٥٧٠ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ١٥٣ ، وورد بنحوه في معاني النحاس ٣/ ٥٤٤ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١١ ، والماوردي ٣/ ١٤٣ ، وأورده ابن حجر في الفتح ١١/ ٣٨٣ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد ، والبيهقي في الشعب لم أقف عليه ، وقال : «ورجاله رجال الصحيح وهو موقوف» .

(٢) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥١ ، من طريق العوفي ضعيفة ، ولفظه : «فزعم أنها تكون فضة» ، ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٤٣ مختصراً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي برواية عطاء ٤/ ٣٧٦ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٨٤ ، وابن كثير ٢/ ٥٦٤ .

(٣) اخرجه بنصه البخاري (٦٥٢١) في كتاب الرقاق ، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة ، ومسلم (٢٧٩٠) ، في كتاب صفة الجنة والنار ، باب صفات المنافقين في البعث والنشور ٤/ ٢١٥٠ ، والطبري ١٣/ ٢٥٠ ، والطبراني في الكبير ٦/ ١٥٥ ، ١٧٤ . (عفراء) العفر بياض ليس بالناصع ، وقيل بياض يضرب إلى حمرة قليلاً ، (كقرصة النَّقي) : هو الرغيف المصنوع من الدقيق النقي من الغش والنخالة ؛ يسمى الحُواري ، (ليس فيها معلم لأحد) قيل إنها مدرجة ؛ من كلام سهل ـرضي الله عنهـ أو غيره . =

وقال عـلي -رضي الله عنه- في هذه الآية : «الأرض من فضة والسـماء من ذهب»[١] ، ومذهب أكثر المفسرين ؛ عكرمة ، ومجاهد ، والقرظي ، وكعب ، على أن هذا التبديل هو تبديل العين[٢] .

وسـألتْ عائشـةُ رسـولَ الله ﷺ عن هذه الآية وقالت : أين يكون الناس يومئـذ ؟ قال : «على الصراط»[٣] قوله تعـالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ؛ أي

= (الـمَعْلَم) : الشيء الذي يُستدل به على الطريق ، والمراد : أنها مستوية ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدى بهـا في الطرقات ؛ كالجبل والصخرة البارزة . انظر : فتح الباري ١١/ ٣٨٢ .

(١) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥١ ، وفيه (والجنة) بدل (والسماء) ، وورد بنصه في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٤ب ، والمـاوردي ٣/ ١٤٤ ، وانظر : تفسـير البغوي ٤/ ٣٦١-٣٦٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٦ ، وتفسـير القرطبـي ٩/ ٣٨٤ ، والخازن ٣/ ٨٦ ، وأبي حيـان ٥/ ٤٣٩ ، وابن كثـير ٢/ ٥٩٨ ، والدر المنثور ٤/ ١٦٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) وقـد تعددت أقوالهـم في ماهية التبديل على أقـوال ؛ فقال مجاهد : «تبدل أرضاً بيضـاء كأنها الفضة ، والسـموات كذلك كأنها الفضة» . تفسـير مجاهـد ١/ ٣٣٦ ، وأخرجه الطـبري ١٣/ ٢٥٠ . وقال كعـب : «تصير السـموات جنانـاً ، ويصير مـكان البحر النـار ، وتبدل الأرض غيرهـا» . أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥٢ ، وورد في تفسـير الماوردي ٣/ ١٤٤ ، والثعلبـي ٢/ ١٤٤ب ، والخازن ٣/ ٨٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٩٨ ، وقال القرظي : «تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم» . أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥٢ ، وورد في تفسـير الثعلبي ٢/ ١٤٤ب ، وانظر : تفسـير البغوي ٤/ ٤٦٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٦ ، وأبي حيـان ٥/ ٤٣٩ ، وابن كثير ٢/ ٨٩٨ ، والخازن ٣/ ٨٦ ، وقال عكرمة : «تبدل الأرض بيضاء مثل الخبزة ، يأكل منها اهـل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب» . أورده السيوطي في الدر المنثـور ٤/ ١٦٩ ، وعزاه إلى البيهقي في البعث ، وهذا القول - أي تبديل العين- هو الأرجح ؛ لموافقتـه ظاهر الآية ؛ إذ هو الأصل في التبديل ، ويعضده الأحاديث الصحيحة والصريحة ، وقد رجحه جماعة من المفسرين ؛ منهم الطبري ١٣/ ٢٥٤ ، وتفسـير القرطبي ٩/ ٣٨٣ ، والجمل في حاشـيته على الجلالين ٢/ ٥٣٤ .

(٣) أخرجه بنصه أحمد ٦/ ٣٥ ، ومسـلم (٢٧٩١) في كتاب صفة الجنة والنار ، باب في البعث والنشور ، والترمذي (٣١٢١) في كتاب التفسير ، باب من سورة إبراهيم ، وابن ماجه (٤٢٧٩) في كتاب الزهد ، باب ذكر البعث ، والطبري ٧/ ٤٨٢ بعدة روايات ، والحاكم في المسـتدرك ٢/ ٨٨ في كتاب التفسير ، باب سورة إبراهيم ، وورد بنصه في معاني القرآن للنحاس ٣/ ٥٤٥ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢١٢ ، والثعلبي ٢/ ١٤٥أ .

ظهروا وخرجوا من قبورهم ، وهو كقولــه : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [إبراهيم :٢١] ، وقد مرَّ .

٤٩. قوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قال ابن عباس : «يريد الذين أجرموا ، زعموا أن لله شريكاً وولــداً ونظيراً»[(١)] ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يريد يوم القيامة ، ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ يقــال : قرنت الــشيء بالشيء ، إذا شــددته به ووصلته ، والقَرْنُ اســم الحبل الذي شُدَّ به شــيئان[(٢)] ، وجاء هاهنا على التكثير لكثرة أولئك القوم .

وقوله تعالى : ﴿فِى ٱلْأَصْفَـادِ﴾ جمع صَفْد وهو القيد ، يقال : صَفَدْتُ الرجلَ فهو مَصْفُود ، والمصدر : الصَّفْد ، والاسم : الصَّفَد ، ومثله الصِّفادُ : وهو كل ما يوثق به من نِسْع أو قدٍّ[(٣)] ، ويقال أيضاً من هذا صَفَّدته بالتشديد ، ومنه الحديث : «صُفِّدت الشَّياطين»[(٤)] .

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٨ بنحوه .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (قرن) ٣/ ٢٩٤٧ ، واللسان ٦/ ٣٦١٠ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (صفد) ٢/ ٢٠٢٥ بنحوه ، وانظر : المحيط في اللغة (صفد) ٨/ ١١٧ ، والصحاح ٢/ ٤٩٨ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٩٣ ، واللسان ٤/ ٢٤٥٨ . (النِّسعُ) سيرٌ يُضَفَّر على هيئة أعنَّة النعال ، تشــدُّ به الرحال ، ويجعل زماماً للبعير وغيره ، (القَدّ) سيرٌ يصنع من الجلد ، تخصف به النعال ، وتشدّ به المحامل . انظر : متن اللغة ٤/ ٥٠٦ ، ٥/ ٤٤٩ .

(٤) ونصه : «إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفِّدت الشياطين» أخرجه مسلم (١٠٧٩) ٢/ ٧ في كتاب الصيام ، باب فضل شــهر رمضان ، عن أبي هريرة ، وجاء برواية : «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفِّدت الشــياطين . . .» ، أخرجه الترمذي (٦٨٢) ٣/ ٦٦ في كتاب الصيام ، باب ماجاء في فضل شــهر رمضان ، وابن ماجــه (١٦٣٨) ١/ ٣٠١ في كتاب أبواب الصيام ، باب ما جاء في فضل شــهر رمضان ، والحاكــم (١/ ٤٢١) في كتاب الصوم ، بــاب إذا كان أول ليلة ، وقال صحيح على شرط الشيخين ، والبيهقي ٤/ ٣٠٣ في كتاب الصيام ، باب في فضل شهر رمضان .

قال أبو عبيد : «شُدَّت بالأغلال ، قال عمرو :

وَأُبْنَا بِالْـمُلُوكِ مُصَفَّدِينا»[١]

قال : «وأما أَصْفَدْتُه بالألف ، فهو أن تعطيه وتصله ، والاسم منه الصَّفَد ، وكذلك الوَثاق»[٢] .

وقال الزَّجَّاج : «صَفَدتُه بالحديد وأصفدته ، ومثله في العطية[٣] ، إلا أن الاختيار في العطية أصفدته ، وفي الحديد صفدته»[٤] .

قال ابن عباس : «يريد بالأصفاد : سلاسلَ الحديد والأغلال»[٥] .

---

(١) وصدره :

فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا

انظر : ديوان عمرو بن كلثوم ٩٤ ، وورد في تفسير الطبري ١٣/ ٢٥٤ ، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري ٤١٢ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٤٥أ ، والماوردي ٣/ ١٤٥ ، والطوسي ٦/ ٣١٠ ، وشرح المعلقات للزوزني ١٨١ ، والفريد في الإعراب ٣/ ١٨٠ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٨٤ ، والدر المصون ٧/ ١٣١ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٩ ، وتفسير الشوكاني ٣/ ١٦٩ . (فآبوا) فرجعوا ، والأوب : الرجوع ، (النِّهاب) الغنائم وما ينتهب ، قال أبو جعفر : «ومعنى البيت : ظفرنا بهم فلم نلتفت إلى أسلابهم ولا أموالهم ، وعمدنا إلى ملوكهم فصفَّدناهم في الحديد» ، قال : «وهذا أمدح وأشرف» .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (صفد) ٢/ ٢٠٢٥ ، بلفظه مختصراً .

(٣) وسمي العطاء صفداً لأنه يُقيَّد من يعطيه ، ومنه : أنا مغلولُ أياديك ، وأسيرُ نعمتك . الدر المصون ٧/ ١٣٢ ، وقيل : لأنها تُقَيِّد المودة وترتبطها . تفسير الطوسي ٦/ ٣١٠ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٠ ، بتصرف يسير .

(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥٥ ، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة . بلفظ : «في وثاق» ، وانظر : زاد المسير ٤/ ٣٧٧ ، ولفظه : «أنها الأغلال» ، والدر المنثور ٤/ ١٦٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٩ بلفظ : «القيود» .

قال الكلبي : «﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ كل كافر مع شيطان في غل»[١] ، وقال عطاء : «وهو معنى قوله : ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير :٧] ؛ أي قُرنت نفوس المؤمنين بالحور العِين ، ونفوس الكافرين بالشياطين»[٢] ، وفي هذا المعنى أيضاً قوله : ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴾ [الصافات :٢٢] .

قال ابن عباس : «وقرناؤهم من الشياطين»[٣] ، وقال قوم في معنى : ﴿مُّقَرَّنِينَ ﴾ : قُرن بعضهم ببعض[٤] .

وقال ابن زيد : «قُرنت أيديهم وأرجلُهم إلى رقابهم بالأغلال»[٥] ، فهذا[٦] ثلاثة أقوال في معنى : ﴿ مُّقَرَّنِينَ ﴾ .

٥٠. قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ السرابيل جمع سِرْبال وهو القُمُص ، والفعل منه تسربلتُ ، وسربلتُ غيري[٧] .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٤٧ بنصه ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٢ بنصه ، والماوردي ٣/ ١٤٥ بنصه ، والبغوي ٤/ ٣٦٣ ، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٨٥ ، وأبي حيان ٥/ ٤٤٠ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٤٧ بنصه تقريباً .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٧ ، ولفظه : «أنهم يقرنون مع الشياطين» ، وورد غير منسوب في القرطبي ٩/ ٣٨٥ ، والألوسي ١٣/ ٢٥٦ ، وصديق خان ٧/ ١٣٨ .

(٤) قاله ابن قتيبة في الغريب ١/ ٢٣٨بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٧ ، والخازن ٣/ ٨٧ .

(٥) أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥٥ بنحوه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٥أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٧ ، والفخر الرازي ١٩/ ١٤٨ ، ونسبه إلى زيد بن أرقم وهوخطاء ، وتفسير الخازن ٣/ ٨٧ ، وصديق خان ٧/ ١٣٨ .

(٦) هكذا في النسخ جميعها ، والأولى : (هذه) .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٥أ ، بنحوه ، وانظر : جمهرة اللغة (سربل) ٢/ ١١٢٠ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، والمحيط في اللغة ٨/ ٤٣٣ ، واللسان ٤/ ١٩٨٣ .

قال امرئ القيس :

لَعُوبٌ تُنَسِّيني إِذا قُمْتُ سِرْبالي[١]

وقال الزَّجَّاج : «هو كل ما لُبِس»[٢] .

والقطران : هناء الإبل .

قال الليث : «وهو شيء يَتَحلَّب من شجر يقال له : الأَبْهُل»[٣] .

---

(١) وصدره :

ومثلك بيْضاء العوارض طَفْلَة

ديوان امرئ القيس ١٢٤ ، وورد في تفسير الطبري ١٣/ ٢٥٥ ، والطوسي ٦/ ٣١٠ ، وأشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/ ٤٧ ، والخزانة ١/ ٣٧٣ . و(العوارض) جمع العارض ؛ وهو صفحة الخد ، و(طَفْلَة) ناعمة البدن ، و(لعوب) حسنة الدل .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٠ بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (قطر) ٣/ ٢٩٩٠ ، بنصه .

قال الفرَّاء : «أهل الحجاز وبنو أسد يفتحون القاف ويكسرون الطاء ، وبعض قيس[١] وتميم[٢] يقولون : قِطْران بكسر القاف وتسكين الطاء»[٣] ، وأنشد :

عَلَيْهِمْ سَرَابِيلُ الحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ

جِمَالٌ بِها القَطِرانُ مَطْلِيَّةٌ بُزْلُ[٤]

وفيه لغة أخرى وهو فتح القاف وتسكين الطاء[٥] ، وبه قرأ عيسى بن عمر . قال أبو إسحاق : «وجُعلت سرابيلهم من قطران والله أعلم ؛ لأن القطران يبالغ في اشتعال النار في الجلود ، ولو أراد الله المبالغة في إحراقهم بغير نار وبغير قطران

---

(١) قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، جدٌّ جاهلي ، بنوه قبائل كثيرة ، منها : (هوازن) ، و(سُليم) ، و(غطفان) ، و(باهلة) ، وغلب اسم قيس على سائر العدنانية ، حتى جعل في المثل في مقابل عرب اليمن قاطبة ، فيقال : قيس ويمن . انظر : جمهرة أنساب العرب ٢٤٣ ، ونهاية الأرب ٣٦٢ ، ومعجم قبائل العرب ٣/ ٩٧٢ ، والأعلام ٥/ ٢٠٧ .

(٢) هم بنو تميم بن مُرٍّ بن أُدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وهم قاعدة من أكبر قواعد العرب ، كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليمامة ، وامتدت إلى أرض الكوفة ، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر والبوادي . وُلد لتميم الحارث ، وعمرو ، وزيد مَناة ، وتفرعت منهم بطون بني تميم . انظر : جمهرة أنساب العرب ١٩٨ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ١٧٩ ، ومعجم قبائل العرب ١/ ١٢٦ ، والأعلام ٢/ ٨٧ .

(٣) لم أقف على مصدره .

(٤) لم أقف عليه . (بُزْل) : قال الجوهري : «بزلَ البعير يَبْزُلُ بُزُولاً : فطر نابُهُ ، أي انشق ، فهو بازلٌ ، ذكراً كان أو أنثى ، وذلك في السنة التاسعة ، وربما بزل في السنة الثامنة ، والجمع بُزُلٌ وبُزَّلٌ وبوَازِلُ» . الصحاح (بزل) ٤/ ١٦٣٣ .

(٥) أي قَطْران ، وذكرها الطبري في تفسيره ١٣/ ٢٥٦ ، بصيغة التمريض منسوبةً إلى عيسى بن عمر ، لكنه قال بكسر القاف ، وبالكسر كذلك قال ابن خالويه ، كما في القراءات الشاذة لابن خالويه ٧٤ ، لكنه جعلها مهموزة ؛ قال : (قِطْرءان) ، ووردت في تفسير الثعلبي ٢/ ١٤٥أ ، بالجزم ؛ قال : وقرأ عيسى بن عمر : (قَطْران) بفتح القاف وتسكين الطاء ، وانظر : تفسير القرطبي ٩/ ٣٨٥ ، قال ابن جني : «وأما القطران ففيه ثلاث لغات : (قَطِرَان) على فَعِلان (وهي القراءة المتواترة) ، و(قَطْران ، و(قِطْران) والأصل فيها (قَطِرَان) فأُسكنا على ما يقال في كَلِمة : كَلْمَة وكِلْمَة» . انظر : المحتسب ١/ ٣٦٧ .

لقدر عـــلى ذلك ، ولكنه عذَّب بما يَعقل العبادُ العـــذابَ من جهته ، وحذَّرهم ما يعرفون حقيقته»[١] .

قـــال ابن الأنباري : «والنار لا تُبطل ذلـــك القطران ولا يُفنيها ، كما لا يُهلك أغلالَها وأنكالَها وحَيّاتها وهوامَها وأشجارَها[٢] ، وللقطران أيضاً روائح خبيثة» ، وقال غيره : «وفيه أيضاً عقاب بالتسويد لسواد دخانه»[٣] .

٥١. قوله تعالى : ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ هذه اللام تتعلق بقوله : ﴿وَتَغْشَىٰ﴾ ؛ أي تغشى النار وجوههم ليقع لهم الجزاء من الله بما كسبوا ، فمعنى ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ هاهنا من الكفار ؛ لأن جزاء المؤمن لا يقع بهذا[٤] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ ذكرنا معناه في سورة البقرة عند تمام المائتين منها .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٧٠ بنصه .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ١٤٩ ، مختصراً .

(٣) وخلاصة الأمر أنه يحصل لهم أربعة أنواع من العذاب بالقطران ؛ لذع القطران وحرقته ، وإسراع النار في جلودهم ، واللون الوحش ، ونتن الريح . الرازي ١٩/ ١٤٨ .

(٤) وقد تعقب الرازي الواحدي في تخصيص ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ بالكافرين ، وأبقى اللفظ على عمومه ليشمل الجزاء الفريقين ، وكلاهما مصيب ، فالتخصيص مناســب للسياق والسباق ؛ حيث إن الكلام السابق واللاحق عن المجرمين فيخصهم الوعيد والتهديد ، ويكون متعلق اللام محذوف ؛ تقديره : يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كســبت من أنواع الكفر والمعاصي ، والتعميم مناســبٌ بالنظر إلى أن ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلــق بقولــه : ﴿وَبَرَزُواْ﴾ ؛ أي الخلق كلهم ، فيكــون ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾ عاماً ؛ أي مطيعة ومجرمة بحسبها ، وتكون الآيتان بينهما جملة معترضة . وهناك أقوال أخرى في توجيه التأويل . انظر : الرازي ١٩/ ١٤٩ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٤١ ، وأبي السعود ٥/ ٦١ .

٥٢. قوله تعالى : ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ قال ابن عباس : «يريد ما أنزلت إليك من قصة إبراهيم ودعائه لوالده وما تبرأ منه من عبادة الأصنام وما دعا للمؤمنين» ، وقال غيره من أهل العلم : ﴿هَٰذَا﴾ : القرآن[١] ، ﴿بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ ، والبلاغ اسم يقوم مقام التبليغ ، قال أبو علي الجرجاني : «تأويله : فعلنا هذا ؛ يعني إنزال القرآن وما فيه من المواعظ لتبلِّغ الناس ، وهذا عطف على البلاغ بالفعل ، وهو قوله : ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾»[٢] ، قال ابن عباس : «ولتنذر يا محمد قومك»[٣] ، ﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ؛ أي بما ذكر فيه من الحجج التي تدل على وحدانيته ، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قال : «يريد وليتعظ أهل اللب والعقل والبصائر» .

* * *

(١) قاله ابن زيد ، أخرجه الطبري ١٣/ ٢٥٨ ، بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ١٤٦ ، والطوسي ٦/ ٣١١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٧٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢١٢ ، والبغوي ٣/ ٣٦٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٣٧٨ ، والخازن ٣/ ٨٧ .

(٢) والتقدير : فعلنا هذا لتبلِّغ الناس ولينذروا به ، فعطف ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ على البلاغ ، وهو مصدر بمعنى التبليغ . وقد ورد في وجه عطف ﴿وَلِيُنذَرُواْ﴾ تسعة أقوال ، ذكرها السمين في الدر المصون ٧/ ١٣٤ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط تحقيق سيسي ١/ ٣٣٩ بنصه .